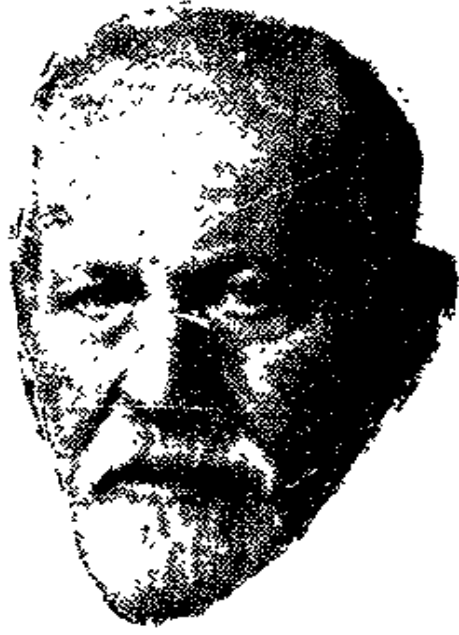


www.alkottob.com



www.alkottob.com

www.alkottob.com

فزويد

حياته وتحليله النفسي

مراجعة الاستاذ الدكتور

احمد عكاشسة

استاذ الطب النفسي بكلية طب عين شمس

دار ومطابع المستقبل

بالنجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة

والنشر ببيروت

www.alkottob.com

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره

إذا كان حقا ما يقول به السلوكيون ، من أن حياة الفرد تتأثر
تأثرا دائما بنشأته وبسنوات حياته الأولى ، فإن حياة سيجموند
فرويد Sigmund Freud (وينطقونها بالالمانية التي تكلم بها :
فرويد) قد تأثرت تأثرا كبيرا بتلك النشأة وتلك السنوات الأولى
من حياته .

فقد ولد سيجموند في فرايبيرج بمقاطعة مورافيا (الان بربور
بنشيكوسلوفاكيا) في ٦ مايو ١٨٥٦ . وكان والده يهوديان من
من أصل نمساوي . وكان والده جاكوب Jacob تاجرا صغيرا
للاصواف ، وجدده لوالده من القساوسة اليهود .

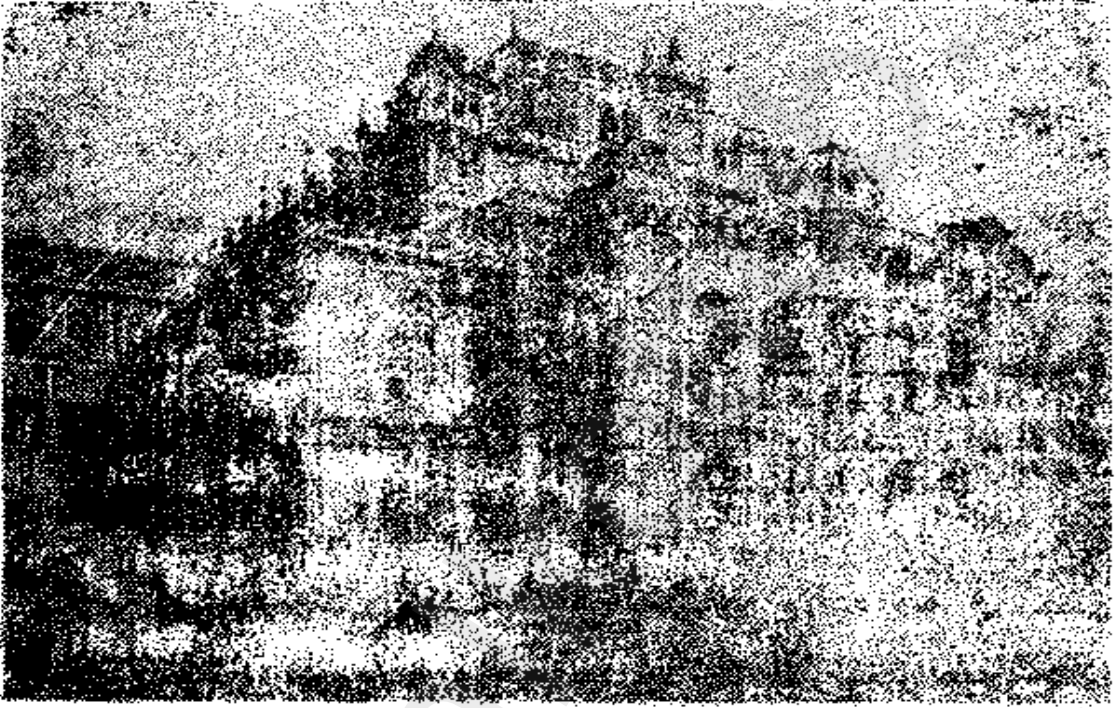
وأما والدته سيجموند فكانت صببية صغيرة ، تزوجها والده بعد
ما جاوز الأربعين ، وبعد وفاة زوجته الأولى أمالي Amalie
ولم تكن الأم حين ولد سيجموند قد تجاوزت العشرين من عمرها
وكان سيجموند هو الابن الوحيد لوالدته ، إذ توفي بعد ولادته

بعام ابنها الثاني ، يوليوس Julius ، وهو الذي ذكر فرويد أنه كان « يغار منه غيرة شديدة » • ولكن كان للاب أبناء عديدون من زوجته الاولى • ومن هؤلاء رجالان بالغان • وقد تزوج أحدهما وقت زواج والده الثاني ، وأنجب ابنا أسماه جون John كان زفنيق سيجموند في صباه • وقُتل عنه سيجموند أنهما كانا « يحيكان مؤامراتهما الصغيرة معا » •

ولم يحقق والدسيجموند من تجارته في الاصواف أى كسب مادي كبير • ولذا تراوحت أحوال الاسرة الكبيرة بين الفقر والاعتدال • ولم تبلغ بها الحال قط حد الغنى • واضطر الوالد . جاكوب • أن يرحل بأسرته مرتين • الاولى الى لايبتريج (الان المانيا الشرقية) والثانية في ١٨٦٠ الى فيينا ، العاصمة القديمة لامبراطورية أوروبا الشرقية • والتحق سيجموند بمدارس فيينا الثانوية منذ عام ١٨٦٥ •

وقد وصف تلميذ فرويد ومؤرخه ، أرنست جونز Jones علاقات سيجموند بأفراد عائلته الكبيرة بأنها كانت « شديدة التعقيد » • وقال أن محاولات سيجموند « كشف معاني العلاقات الغامضة بينه وبين أفرادها الكثيرين كانت قلقة » • ولكن هذه العلاقات كانت هي بداية فهم فرويد للعلاقات الانسانية عامة •

وقال ريتشارد فولهايم Wolheim أن حب فرويد لوالده ، وتقديره له « قد اختلط عنده بالحسرة عليه ، كما بالخوف منه » وأن عواطفه « الحسية الحارة نحو والدته ، وامتعاضه من اخوته



نبيينا في نهاية القرن التاسع عشر
وتمثل الصورة دار الاوبرا الشهيرة بها

الكثيرين الذين يفوقونه سنا ومرتبة . قد تركت آثارها فيه . وأن صور الكبار منهم قد حلت عنده محل صورة الاب . بينما كانت غيرته من صغارهم شديدة » .

وقد عاش سيجموند فرويد أكثر حياته في فيينا ، فلم يارحها الا لرحلة أو مؤتمر أو أجازة . ولكن ذكرياته فيها لم تكن سعيدة . ويلاحظ القارىء أننا نؤكد على هذه التفاصيل ؛ لان سيجموند حين أخذ بعد ذلك في وضع نظرياته قد نظر . كما يقول فولهايم . الى نفسه والى أسرته ؛ قبل أن ينظر الى مرضاه ، ثم الى سائر الناس فهذا طبيب يهودى شاب ؛ من عائلة متوسطة ؛ بل نكاد نقول فقيرة في مجتمع شديد المحافظة ، هو مجتمع احتضار العاصمة الامبراطورية الكبيرة . وهو ينظر بحكم تلك النشأة نظرتة الخاصة ؛ لا الى العالم وحده ، وانما للعائلة والجنس والمرأة الخ مما سيأتى الكلام عنه .

يقول سيجموند فرويد انه كان يمشى مع والده يوما في أحد شوارع فيينا . فاصطدم والده بأحد أبنائها الارستقراطيين . فما كان من الاخير الا أن . .

« أمسك بقبعة والدى الجديدة ، فالتقى بها في وحل الطريق ، وهو يصرخ فيه : يهودى . يهودى . أنزل من فوق الرصيف . لا تمشى فوق الرصيف يا يهودى » .

ويخيف سيجموند أن والده لم يرد عليه بكلمة . وأنه التقط القبعة الجديدة ، والتي اتسخت بأوحال الطريق ، وانصرف من أمامه في سكون ! .

ويقول سيجموند فرويد أيضا أنه قد أحس ، منذ صباه . . .
(باختلافه عن الغالبية العظمى من أبناء فيينا المسيحيين .
وبانفراده . وبوحده . وبحاجته الى الاعتماد على نفسه)
وليس من شك أن هذه المؤثرات قد أثرت في سيجموند تأثيرا
تديدا فجعلته مثابرا ، عنيدا ، حتى أصبح يرفض معارضة . بل
مناقشة ، أقرب الناس اليه . مما أدى في أحيان كثيرة الى اختلافه
مع عدد من أهم أصدقائه وتلاميذه .
وقد لقي سيجموند في فيينا عنفا وكرها شديدين . فقد حاربه
أطبائوها وعلماؤها في بداية حياته ، ولم يعترفوا بعبقريته إلا
مكرهين . ولا يزال الزائر لقاعات جامعة فيينا الى اليوم ،
يدهش من وفرة التماثيل المتناثرة في أنحاءها ، وجلها لاسماء
غير لامعة في حقول العلوم الانسانية ، وصغر وانزواء تمثال
سيجموند فرويد بينها ! .

www.alkottob.com

هاو للفلسفة ودارس للطب

تمتع فرويد منذ حداثته بخيال واسع • وكان يتمثل نفسه
غازيا من غزاة العالم كهنييعل أو نابليون • ثم شغف بالقراءة •
وكن ميالا الى الفلسفة •

وقد انحاز الى جانب المجددين والثائرين من العلماء وقتئذ ، من
أمثال برنتانو وديه بواه وهيلمو هلقر وفيخنر وكيشنج وهوسكنز
وقريمان وبافلوف • ويذكر فرويد أنه قد دخل كلية طب جامعة
فيينا بعد تردد طويل ، وعقب قراءته لمقال عن « الطبيعة » لجيته •
ويقال أن فرويد قد أحب جيته منذ حداثته ، ولكنه كان « يتجنب »
نيشه • وأنه لم يقرأ شوبنهاور حتى سنوات حياته الأخيرة •

دخل فرويد كلية طب جامعة فيينا في عام ١٨٧٣ ، وتوقف عن
الدراسة بها شهورا خلال عام ١٨٨٠ لاداء الخدمة العسكرية • ثم
عاد اليها ، وأتم تعليمه الطبى فيها في العام التالى ١٨٨١ • ولكنه
عمل خلال أعوام دراسته النهائية مع اثنين من كبار الاطباء

الشمساويين في زمانه . وهما مينرت Meynert وبريكة Buche
وقد أثرا فيه تأثيرا بالغا . ووجهه الثاني . خلال عمله معه بين
الاعوام ١٨٧٦ و ١٨٨٢ في معهد الفسيولوجيا الذي كان يديره ،
التي دراسة التشريح الباتولوجي . وقد ذكر فرويد « أن بريكة
هو الشخص الذي أثر في حياتي أكثر من أي انسان آخر » . ثم
عرف فرويد في عام ١٨٧٨ أستاذه وزميله برويير Breuer وعمل
في عيادته بعد ذلك سنوات .

وقد حاول فرويد عند تخرجه أن يعمل بالبحوث في جامعته
فبيينا . ولكنه لم ينجح في هذا رغم شدة ميله لذلك . وهذا ، كما
قال بنفسه . ليهوديته . فالتحق بعيادة برويير . وتوثقت علاقته
به خلال الاعوام التالية . وحتى عام ١٨٩٥ . حتى انقطعت تماما
كما سيجيء ، في ١٨٩٦ .

وفي خلال هذه الفترة الاولى من حياة فرويد ، قبيل . وأثر
تخرجه من كلية طب فيينا . درس فرويد في المستشفى العام بفيينا
وعيادة برويير أعمالا شتى . منها على سبيل المثال : ميكانيكية
التنفس في الطيور ، ووظائف قنوات الاذن ، وطريقة سباحة
الاسماك ، وتشريح أجنة الطيور . على أن أبرز دراسات فرويد
في تلك الفترة كان خلال العامين ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ على مفعول الكوكايين
كمخدر موضعي وكعلاج لبعض الامراض النفسية . ويقال أنه
كان على وشك تحقيق كشف تأثير الكوكايين كمخدر لولا تحوله
عن متابعة بحوثه الى نواح أخرى في العلاج النفسي .



العالم النمساوي الشهير بريكه الذي
تتلمذ عليه فرويد في شبابه

وقد أجمع اندارسون . من بين أصدقاء وأعداء فرويد على
السواء . على أنه في دراساته كان واسع الاطلاع . دقيقا أشد
الدقة . وأنه قد نبغ على الخصوص في فسيولوجيا الخلايا
العصبية وكمعالج للأمراض العصبية .

يقول فرويد :

((ان مواهبى ، او قدراتى محدودة للغاية . فليس لدى منها
شئ للعلوم الطبيعية ، او للعلوم الرياضية . وليس لدى منها
شئ للقياسات الكمية . ولكن يلوح لى ان ما عندى من موهوب
او قدرات صغيرة ، هاد للغاية)) .

ويضيف فرويد :

((ان تقديرى لانجازاتى كبير جدا . ولكن تقديرى لنفسى
لايمثلها كبيرا . لقد كان على الانسانىة على طول الزمن ان
تلقى عن يد العلم الحديث ضربتين قويتين ، حطمتا حبهما
الساذج لنفسها . الاولى عندما تؤكد لها ان الارض ليست
هى مركز الكون ، ولكنها جزء صغير من نظام عالمى لانكاد
نحيط بانساعه . وتقترن هذه الثورة باسم كوبرنيكوس
Copernicus ، مع ان بعض تعاليم الاكندرية قد سبقت
الى شئ منه . والثانية عندما جردت البحوث البيولوجية
الانسان من نوعيته المنفردة كمخلوق . مميز عن غيره من
المخلوقات ، وطوحت به ، مؤكدة نوعيته الحيوانية ، وسط
عموم الحيوانات . وقد تمت هذه الثورة الثانية فى زماننا
بايعاز من تشارلز داروين Darwin وولاس Wallace
ومن تبعهم ، وامام معارضة صاحبة من معارضيوهم . ولكن
مابقى من خيلاء الانسان يتلقى الان ضربته الثالثة والائمة
على يد الانجازات التى تحققها البحوث السيكولوجية الحاضرة
فان هذه الانجازات تؤكد ان نفس كل منا لم تعد لها السيادة

التامة . وأن الانسان لم يعد يفرد بقصره الخاص به .
وإن عليه أن يرضى بأن يزاحمه في كاميته ، وداخل عقله ،
دوافع وعواطف وكظوم كثيرة » .

ويضيف الينبرجر Allenberger ، أن فرويد لم يتأثر بثورتي
كوبرنيكوس وداروين وحدهما . وإنما تأثر أيضا بالثورة الجنسية
التي قامت خلال النصف الاخير من القرن الماضي على يد كراغت
ايننج Ebbing وهافلوك ايليس Ellis ممن سبقو الى التحدث
عن أهمية الجنس في الانسان . من دون البحث في دوافعه وآثاره ،
ويؤكد الينبرجر أن فرويد ما كان مستطيعا القيام بما قام به من أعمال
من دون الاطلاع الكامل ، والتأثر الايجابي . بأعمال هؤلاء الرواد .
ولعل من حقنا نحن أيضا أن نتساءل عما إذا كان فرويد مستطيعا أن
يحقق انجازاته من دون المؤثرات الاسرية والاجتماعية التي ولد
ونشأ فيها ، الى جانب ماوقع فيه بعد ذلك من تأثير الرواد الذين
تعرف عليهم .

لقد اعتبر فرويد نفسه « فيلسوفا » أكثر منه طبييا . ووصف
نفسه بأنه كان « هاويا » للفلسفة . وأنه يعتبر علمه الجديد ، أي
التحليل النفسي ، فرعا من فروع العلوم الاساسية ، وليس الطبية

وكتب في ١٨٩٦ :

« عندما كنت صغيرا كنت اتمنى أن أحيط بالمعلومات الفلسفية
والآن ، وأنا أنتقل من الطب الى السيكولوجيا ، أشعر أنني
اتقدم نحو ماكنت أرغب فيه . لقد عملت طبييا معالجا رغم
أنفى » .

وقد شرح فرويد في عشرينات القرن الحاضر العلاقة بين
العلاج الطبي والعلاج النفسى . فقال :

« بعد اربعين عاما من النشاط الطبي يتضح لى اننى لم اعمل
فى يوم من الايام كطبيب . وفي تقديرى أن على الاطباء الذين
يرغبون فى العمل كمحللين نفسانيين ، أن يتغلبوا فى انفسهم
على الجانب الذى اكدته فيهم دراساتهم الطبية ، وأن يقاوموا
مبولجهم نحو الاعتماد على علوم الغدد والاعصاب وغيرها » .

حالة المريضة « أناوه O ANNA »

عمل فرويد بعد تخرجه في عيادة أستاذه وصديقه بروير •
وتعرف في نفس العام ، ١٩٨٢ ، على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز
Martha Bernayz وكانت صبيبة صغيرة تعيش في هامبورج ،
كبرى مدن المانيا الشمالية وقد قابلها فرويد بعد ذلك مرات ،
وارسلها بانتظام ، ثم تزوجها في سبتمبر ١٨٨٦ •
وقد نجح هذا الزواج بجميع المقاييس • فكانت تلك السيدة
القصيرة نوعا ، والمتوسطة الجمال ، خير عون لفرويد في منزله ،
ولاولادهما الستة ، ومنظم لآعماله ولعيادته التي شغلت بعد ذلك
ثلاث حجرات من منزله الكبير ، والتي كان فرويد يقضى فيها أكثر
ساعات اليوم •

وكان فرويد أبا بطيريكيا ، ينتظر الطاعة من جميع أفراد عائلته
وتلاميذه • وكان يجتمع بأعضاء أسرته كل ظهر على الغداء •
ولكنهم لم يكونوا يرونه ، أو يجسروا على ازعاجه ، في ساعات

عمله ، وكانت تلك الساعات طويلة ؛ إذ كان فرويد يعقد ثمانى الى عشر جلسات كل يوم لرضاه . ثم يجلس للكتابة ساعات أخرى وكان يدخن خلال كتاباته وفي ساعات استرخائه السيجار . وقد تعود فرويد بعد ذلك على أن يجتمع بعدد من أصدقائه مرة واحدة في الاسبوع للعب الورق . وكان يلتقى بتلاميذه مرة مساء كل أربعاء . ولكن لما زاد عدد هؤلاء التلاميذ ، لم تعد تكفيهم حجرة عيادته ، فأخذ بعضهم يجلس فيها ، واكتفى الباقون بالاستماع اليه من خارجها .

وكان فرويد يتمشى بين كل حين وآخر في شوارع فيينا ، وخلال أشهر الصيف . حول المزارع المحيطة بها . وقد زار خلال رحلاته العلمية . التي كان يقوم بها منفردا ، أنحاء النمسا وألمانيا ، وبعض أماكن في فرنسا وإيطاليا واليونان .

وعندما تزوج فرويد من مارتا ، انتقلت للسكنى معها اخت زوجته مينا Minna وكانت أطول قامة ، وأجمل شكلا ، وأقوى على تحمل أعباء العمل من شقيقتها زوجة فرويد . فساعدت في رعاية أفراد الأسرة ، وفي تدبير أمور المنزل والعيادة ، طوال خمسين عاما وحرمت نفسها مختارة من اتخاذ حياة زوجية أو مستقلة .

وقد شاء الكاتب اميل لودفيج Ludwig أن يردد سخرية يونج Jung من هذا الوضع ، ومن دون أن يجرؤ ، أحد غيرهما من أصدقاء وأعداء فرويد على السواء ، على أن يقدم تشبها أو يحكى حادثة .

* * *



استاذ وزميل فسروريد الطبيب برويسير
الذي عمل معه في عياده ودرس حالة انا اوه

كان برويبر عندما عمل معه فسرويد من أكبر أطباء فيينا
وأشهرهم عند ارسنقراطيينها • وكان يعالج بين عامي ١٨٨٠ .
١٨٨٢ مريضة بالهستيريا تسمى « بيرتا بابانهايم Bertha Pappenheim »
وتعرف حالتها باسم « أنا أوه (Anna O) » . وكانت أنا أوه
فتاة جميلة في الواحدة والعشرين من عمرها • ويقال أنها قد
أعجبت اعجاباً خاصاً بمعالجها برويبر ، وأن هذا قد ساعد على
نجاح علاجها • ولكن أيضاً على هروبه منها ، ثم قطع صلته بها •
وكانت عظام الهستيريا تتمثل في أنا أوه في شلل أطرافها ،
وعجزها عن تحريك أيديها وساقها ، واضطراب نظرها ، واختلاف
دقات قلبها . ورفضها شرب الماء ، والعجز عن التحدث بلغتها
الالمانية وتحدثها بالانجليزية •

وكان برويبر يستقبل أنا أوه في المساء ، فتقص عليه روايات
كثيرة لا رابط بينها • فلما استبدل وقت علاجها بالصباح ، وجد
أن كثيراً مما كانت تقوله قد أصبح ذا مغزى • ولما أخذ
يقارن بين أقوالها المسائية والصباحية ظهرت له بضعة أشياء •
وحينئذ فكر برويبر في تنويمها لمساعدته على كشف التناقض
والعموض في بعض مذكرته له •

* آثرنا استخدام الكلمات العربية على المترجمة لدقتها ، ولتسهيل
السدرس في اللغات الاجنبية ، ولدلالة تأليفها فيها ،
وخلوها من الشحنة المسبقة التي قد تحملها الكلمة العربية
وتجنب المفاضلة بين كلمات المدارس العربية المختلفة •

وقد وجد برويبر (وكان قد بدأ يطلع فرويد على حالتها ويناقشه فيما يجب عمله معها) أن أنا أوه كانت قد مرضت والدها طوال شهر حتى وفاته . وأن كل مظاهرها الهستيرية تعود الى تلك الفترة التي قضتها في تميزه . وأن أنا أوه كانت . زيادة على ذلك ، شديدة الكره لمدرسة انجليزية تعلمها تلك اللغة . وأن المدرسة قد قدمت الماء يوما نكلب لها في كوب خاص بأنا أوه . فلم تعد أنا أوه منذ هذا الوقت قادرة على شرب الماء . واستبدلت بلغتها الالمانية خلال أزماتها لغة تلك المدرسة .

وعندما كشف برويبر عما وجد لانا أوه . وآبان عن دوافع وأسباب كتبها ، نسفيت أنا أوه تماما من كل مظاهر الهستيريا . وغادرت عيادته من دون أن تعود اليها بعد ذلك .

يقول فرويد :

« ان علماء الاعصاب كانوا قد لاحظوا ان الكشف عن الدوافع المكبوتة لاسباب الفاق النفسي والهستيريا ، يزيل ظواهرها عن المريض . وان المريض الذي يكشف عما يدور في رأسه من أحلام بالثرثرة الى المعالج الذي يطمئن اليه ، كثيرا ما تتحسن أحواله » .

ويقول أيضًا :

« ان المريض بالهستيريا يعاني من صدمة مؤلمة أثرت فيه تأثيرا دائما . وهو قد ينسى الصدمة . ولكن تنويم المريض يعيد الحادثة والدوافع التي أدت اليها الى خياله . فإذا كشف عنها الطبيب ، شفى من المرض » .

كل هذا كان معروفا عند علاج برويبر لانا أوه ، ولكن ما أضافه

برويير يومئذ هو محاولته « تتويم » المريضة لمساعدتها على الكشف عن الكبت والدوافع . وقد سمي برويير وفرويد تلك الطريقة « العلاج الكلامي Talking Cure » أو « تنظيف المدخنة Chimney Sweeping » . وأطلق عليه الفرويديون بعد ذلك اسم اسم « التطهير Catharsis »

وفي خلال تلك الفترة الاولى من حياته ، كان فرويد يجسرى بحوثه التي تحدثنا عن بعضها . على أن فرويد حصل في العام التالي ، ١٨٨٦ ، على منحه دراسية اختار لموضوعها درس «التتويم والايحاء النفسى » ولما كانها باريس ، حيث العالم الفرنسى الذائع الصيت وقتئذ شاركوه Charcot . ولم يكن أحد في فيينا وقتئذ يؤمن ، أن كان قد سمع ، بما يقول به شاركوه . ولكن تجربة برويير مع أنا أوه ، فتحت عقل ذلك العبقري النمساوى ، وشجعتة على أن يختار بنفسه موضوع ومكان منحته الدراسية .

وقد قضى فرويد في باريس الفترة بين ١٣ أكتوبر ١٨٨٥ و ٢٨ مايو ١٨٨٦ . فدرس في خلال تلك الفترة اللغة الفرنسية ، وكل ما استطاع من أعمال شاركوه . وقد تابع فرويد شاركوه في محاضراته وبين مرضاه في مستشفى سالبترير ، وناقشه في أشياء كثيرة ومن بينها حالة المريضة أنا أوه .

وكانت المدرسة القديمة في درس وعلاج الهستيريا ترجع أسبابها عند المريض الى « الخيال » أو الى مرض في « رحم » المرأة . ومن هنا سميت هستيريا . فالاسم يعنى في اليونانية « الرحم »

ولكن شاركوه لم يكن يؤمن بهذه التعاليم القديمة . وكان يكرر لتلاميذه : أنظروا دائما ، وفي كل الاحوال : الى الدوافع الجنسية ومع ذلك فعندما سمع شاركوه بعد ذلك أن فرويد يرجع بعد عودته الى قبينا أكثر الامراض النفسية الى الجنس ، لم يوافقته ، وعساا يقول : ولكن هذا غير معقول ! .

www.alkottob.com

من التنويم الى التحليل

عاد فرويد الى فيينا في ١٨٨٦ ، فعمل في مستشفى كاسوبتر وافتتح عيادة خاصة في جزء من منزله . وقد استمر فرويد في شغل المنزل والعيادة ، لم يغيرهما ، حتى طورد من المدينة على أيدي النازيين الالمان في ١٩٣٨ .

وقد ألقى فرويد بعد عودته بأسابيع من باريس محاضرة على أطباء فيينا عن طرق العلاج التي شاهدها في باريس . ولكن محاضراته لقيت فشلا ذريعا بين زملائه ، الذين سخروا من كلامه . بل أن محاضرة أوغرت صدورهم نحوه حين كاشفهم ببعض الكشوف التشريحية والنفسية المتقدمة في باريس عنها في فيينا .

وقد آذت تلك المحاضرة فرويد أمام زملائه ، وأضرت بعيادته ؛ حيث بقيت بعد ذلك شهورا طويلة فيما يشبه الكساد المادي .

واستمر فرويد في مستشفى كاسوبتر حتى ١٨٩٣ ، ولكنه تركها

Bernhayem

في عام ١٨٨٩ لدرس التنويم على يد بيرنهايم

في نانسي بفرنسا • وقد حاول فرويد أثناء ذلك ان يعود للتعاون مع برويبر • ولكن هذا أخذ يبتعد عنه تدريجيا : لاعتقاده أن فرويد قد أخذ يولى الناحية الجنسية لرضاه أكثر من حقها • وأيضا لوثوقه من أن تلك الشهرة التي طغت على اسم فرويد قد تصيبه هو أيضا • فتضر بعيادته المزدهرة وقتذاك •

على أن فرويد نجح في ١٨٩٣ في نشر مقالة له مع برويسير عن « الميكانيزمات السيكلوجية لمظاهر الهستيريا » • وفي أن ينشرا معا بعد ذلك بعامين • أي في ١٨٩٥ • كتابهما «دراسات في الهستيريا» وهو الذي تولى حياطة أنا أوه واحد من أهم فصوله • على أن ثقة برويبر في صديقه كانت قد تدهورت الى حد أن أنفرد كل منهما بكتابة بعض فصول الكتاب • فلم يضعنا اسميهما معا الا على مقدمته ! • وفي العام التالي لظهور الكتاب ، ١٨٩٦ ، أنهى برويبر كل علاقة له بفرويد •

وقد تضمن الكتاب المذكور عدة حالات هستيرية أخرى ، رمز لاهمها بالرمز «ايما فون ان» و «لوسى آر» و «كاترينا» و «كينتيليا أم» • ولعل أهم تلك الحالات جميعا هي حالة مريضة فرويد «اليزابيث فون آر Elisabeth Von R» •

وقد استمر علاج فرويد لاليزابيث فون آر بين الاعوام ١٨٩٢ ، ١٨٩٨ • وكانت من أصعب الحالات التي صادفها • إذ بدأ فرويد بالعلاج التقليدي وقتئذ ، وهو محاولة تتويم المريضة ثم الايحاء اليها • ثم بمحاولة برويبر الناجحة مع أنا أوه ، تتويم

المريضة وتركها تسترسل في الكلام . ولكن هاتين الطريقتين لم تفيدا مع اليزابيث فون أر لما وجده فرويد من صعوبة تكاد تبلغ الاستحالة في تنويمها . وزيادة على ذلك ، كانت اليزابيث فون أر تصر على رواية رواياتها كاملة . ومن دون أن تسمح لفرويد بمقاطعتها .

وحينئذ بدأ فرويد الطور الثالث في علاج الهستيريا عند الفرويديين ، وهي تركها ، تتكلم . وتتكلم ، وتتكلم . فكانت هذه أول دراسة « تحليلية » للهستيريا .

يقول فرويد ان الهستيريا « تظهر وكأنها تلغى أساسيات علم التشريح ، أو كأنها لم تسمع بها » .

وكانت اليزابيث فون أر تعاني أساسا من آلام في ساقها وعجز عن المشي سوى . وقد قصت على فرويد سلسلة من الحوادث الاليمة التي جرت لأفراد أسرتها . فقد توفي الأب . ثم تزوجت أختها مخالفة لرأى عائلتها وانفصلت عنهم بزوجها . ثم توفيت أخت أخرى خلال ولادتها . ووجدت العائلة أنها لم تعد تستطيع التفاهم مع زوجها . ثم مرضت الام . وهذه كلها حوادث مؤسفة ، كما قال فرويد ، ولكن أين الدوافع التي أدت الى الكبت ؟ . انه لايجدها . واليزابيث فون أر تقول أنها تعرفها . وتكرر عليه ما قالت . حتى بدأت تتحدث عن شاب مال اليه قلبها . ويجتهد فرويد في التعرف على الشاب ، حتى تعترف أنه زوج أختها المتوفاة . نعم لقد مال قلب اليزابيث الى زوج أختها .

وقد لامت نفسها بشدة على هذا الميل ، ثم ماتت الأخت ، فصارحتها
كامنتها : الآن وقد ماتت : افرحى ، فقد تمهد لك الطريق ! •
لقد تحدثت أرنست جونز عن نظام للدوافع الكامنة انتهى إليه
فرويد بعد ذلك • قال ان فسرويد قد انتهى الى أن الكامنة ليست
متجانسة • فقد تجمع بين أفكار مختلفة ، بعضها قد يصاد البعض
الآخر • ولكن هذه الأفكار المختلفة قد تتعايش مع ذلك داخل
الكامنة الواحدة • لان تراحم هذه الأفكار فيها لا يعرقل استمرارها ،
كما لا يعرقل ظهور بعضها من دون البعض الآخر • وقال أن
الكامنة قد تتجاهل أيضا عامل الوقت ، فتخلط الأفكار القديمة
بالجديدة • وأن هذه قد تطفو كعاطفة طاغية وتحل محل الحقيقة
الخارجية •

وقد تحدثت فرويد بعد ذلك عن حالة مريضة أخرى بالهستيريا
هي حالة المريضة « دورا Dora » • وكانت دورا في الثامنة
عشر من عمرها • وكانت ظواهر الهستيريا تظهر عندها على شكل كحاحات
طويلة ، تفقد خلالها صوتها • كما كانت تشعر بأعراض تشبه
أعراض التهاب الزائدة الدودية • وقد وجد فرويد أن دورا تحب
والدها وتكره أمها • ولكنها تحولت عن والدها ، وهددت بالانتحار
اذا اكتشفت علاقة بين والدتها وبين صديق الأسرة « كيه K »
وأن والدها قد اتجه بتشجيع خفي من والدتها ، نحو زوجة كيه •
ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل الى كيه • ولهذا « تخيلت »
دورا أن رغبتها في كيه قد أشبعت • وأنها قد حملت منه • وأن

ماظهر لها من علامات الزائدة الدودية هي عوارض حملها منه •
ولكن الحقيقة أن دورا لم تضاجع كيه • وأنه الى جانب حبها
لكيه ، كان هناك ، كما وجد فرويد ، حبها القوي لوالدها • ورغبتها
الشاذة ناحية والدتها ومربيتها • وبعد ذلك ميلها التدريجي نحو
معالجها •

* * *

ويلاحظ أن فرويد قد استفاد فيما أسماه بـ « التحليل النفسى »
بتفسير أحلام المريض ، مثلما استفاد بـ « تداعى الافكار » •
أى بترك المريض يتذكر الحوادث العاطفية التى مرت به ، وأحدثت
كظومه ، وفجرت أزماته • ولم يعترف فرويد بهفوات أو أخطاء
أو نسيان يقع فيه مريضه ، ممما أسماه بالالمانية *Fehlleistungen*
ويطلقون عليه الآن اسم « غلطة اللسان *Freudische Versprechung*
فلكل واحدة من هذه معنى يجب أن يدرس ويمحص • وقد أعطى
فرويد مثلا برئيس البرلمان النمساوى الذى جلس لافتتاح احدى
جلسات البرلمان ، وكان فى عجلة للحاق بموعده ، فأخطأ فى كلماته
وقال : قفلت الجلسة • بدلا من أن يقول : فتحت الجلسة ! •

وضرب فرويد المثل بنفسه حين قال ان الانسان كثيرا مايحاول
أن يتجنب موضوعا ، فينسى موضوعا آخر يشابهه • وأن هذا
كثيرا ما يحدث عند الحديث فى مواضيع تمس المرأة أو الجنس
أو الموت الخ •

* * *

كانت مريضة فرويد تجلس على أريكة طويلة في عيادته ،
يتدلى من فوقها ضوء خافت • ويجلس فرويد من وراء رأس
المريضة بحيث لا يزعجها بالتحديق في وجهها • وكان فرويد يتحدث
الى مريضته بصوت خافت وهادئ • وقد يربت على جبهتها بيده •
وكان فرويد يشجع مريضته على التحدث في كل ماتريد ، ومن
دون أية مقاطعة أو أسئلة • وكان غرض فرويد من جلساته المتكررة
هو مساعدة المريضة على تحديد الدوافع والكظوم • فاذا ما وقعت
عليها ، فقد كشفت لفرويد ، ولنفسها ، عن المرض ، فيكون التحسن
المريع •

وقد ترك فرويد التنويم بعد ذلك الى التحليل ، لاسباب كثيرة
منها أن نتائج العلاج بالاول ليست دائمة وكان يحذر من « الخلط
بين ذهب التحليل ونحاس التنويم » •

وكان فرويد يحذر من أى ايهاء سيكولوجى من المعالج للمريض ،
كشجيعه على اتخاذ طريق أو رواية رواية يفرسها فيه معالجه •
وكان يرى أن وظيفة المعالج تقتصر على « التفسير » • ولم يكن
يصر على أن يكون المعالج طبييا ، بل كان يطلب أن يكون معالجا
محايدا •

كذلك حذر فرويد من أى تماد بين المعالج والمريض • فمع
أنه كان يرى أن نجاح المعالج يتوقف على ثقة وتعاطف المريض
مع المعالج ، فان لهذين عنده حدودا صارمة يجب ألا يتجاوزاها
شعوريا أو لاشعوريا • وكان يقول أن العلاقة بين المعالج والمريض
خطيرة جدا « لانها تقسوم على اعترافات الثانى للاول • وجلها
اعترافات جنسية » •

دور الجنس في الاحلام

كان لفرويد ولع قديم بتفسير الاحلام . وقد وجد منذ افتتاحه اعيادته ، وبداية تبينه لفظوم مرضاه فيها ، أنه يحتاج الى أن يتعرف على احلامهم والى أن يستدل برموزها في محاولة تفسيرها .
يقول فرويد :

« ان المفروض هو الا تظهر عند النوم اية حركات نفسية . ولكن اذا ظهرت لنا بوادر منها ، فان السبب يرجع الى أن الشخص الحالم قد عاد الى مرحلته الجنينية الاولى . فالتائم لا يستطيع أن يتجنب ما يظهر عليه من علامات نفسية تؤلف بعض حلمه . والاحلام هي الطريق الوحيد امامه للتخلص من عواطفه المكبوتة » .

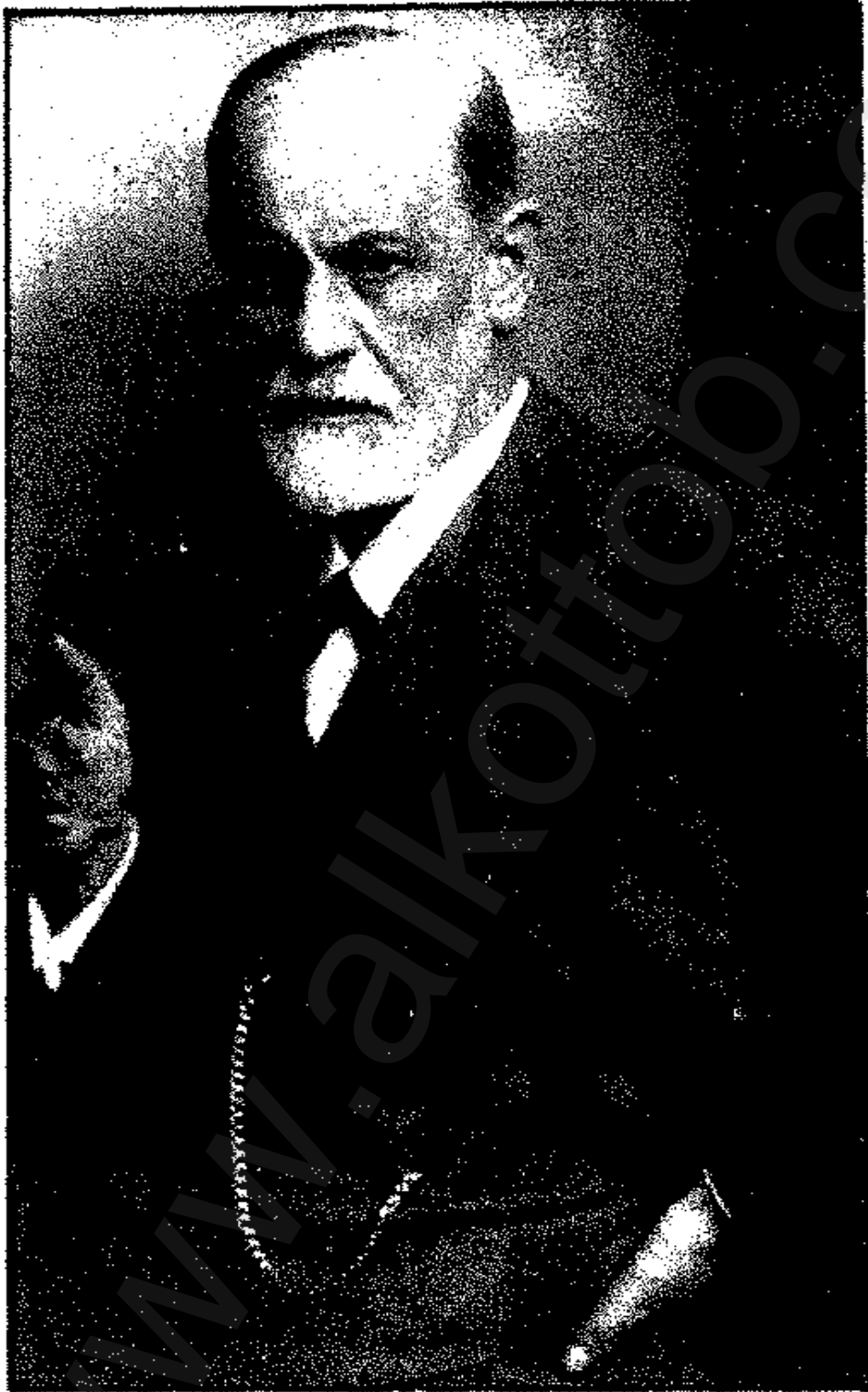
فالحلم عند فرويد . .

« تحقيق مستور لرغبة غير واضحة ، او خفية ، او مكبوتة مفهومة او غير مفهومة . وعلامة بيوح عن طريقها العقل ببعض اسراره الكامنة . . (ولكنه ايضا) علامة من علامات النيوروز (العصاب) . وكثيرا ما يواجهها المعالج كعلامة سيكوباتولوجية ، ولكنه ليس بكذلك » .

وقد وجد فرويد أن بإمكانه أن يفسر أحلام المريض ، جزءا بعد جزء . مستعينا برموز تلك الاحلام ، للكشف عما في كامنته . فالحلم عند فرويد . هو « الطريق الامثل (الملكى) لفهم الكامنة » وقد وجد فرويد أن كامنة كل شخص لاتضم تفاصيل متناثرة وغير وغير هامة من التجارب ، وانما « ردود فعل عقلية » تتراكم فيما أسماه باللاوعى . وردود هذه الافعال تتطور كل يوم بما تكسبه من تجارب جديدة . حتى اذا جاء الوقت المناسب ، ظهر بعضها ليواجه الصدمات النفسية التي يتعرض لها الانسان .

ووجد فرويد ان الغريزة الجنسية هي المحرك الاساسى للسلوك الانسانى . ومع ذلك . فقد أعطى فرويد تلك الغريزة كثيرا من الجوانب التي تعارفنا على تسميتها بالجوانب « الاجتماعية » . فمفهوم الجنس عند فرويد لا يضيق حول العملية الجنسية وحدها ، وانما يتسع كى يشمل جوانب متعددة من النشاطات . والطاقة اللبيدية فيه تتصرف عند النمو الى اهتمامات كثيرة « غير جنسية » .

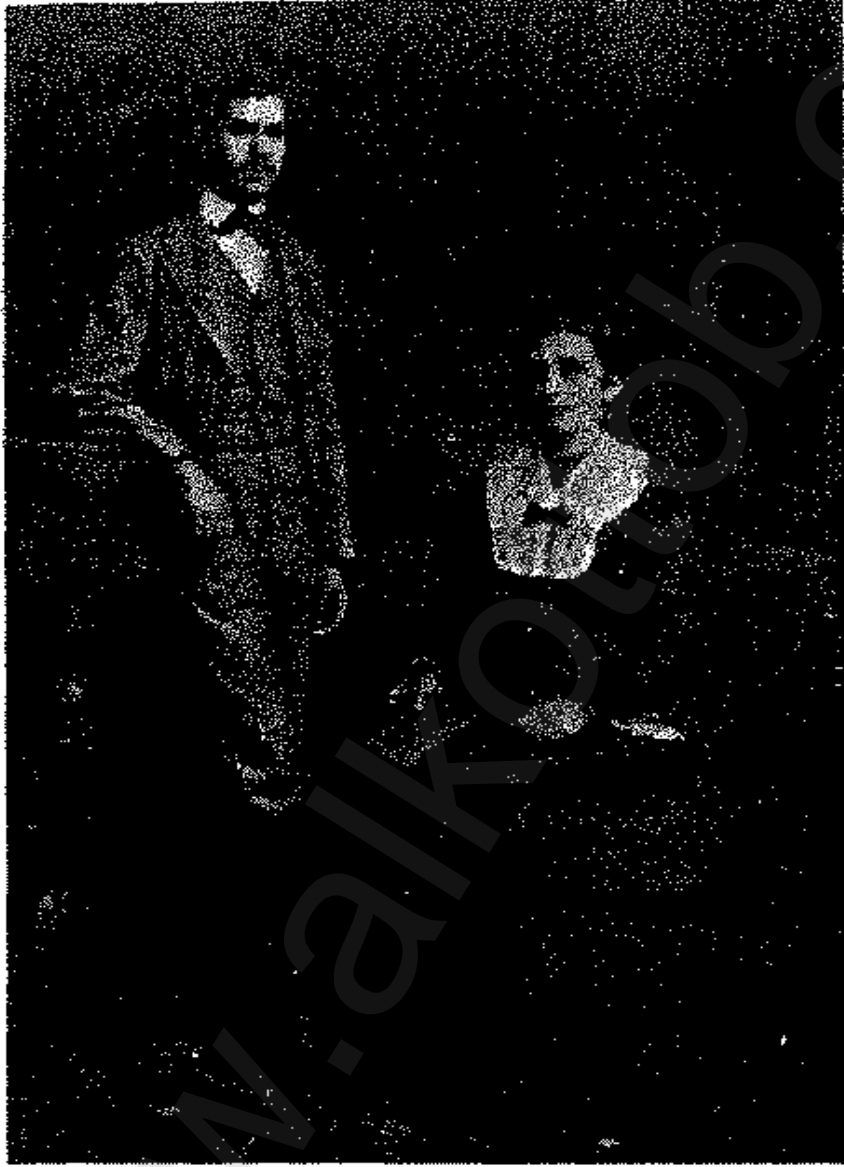
ومن ناحية أخرى ، أعطى فرويد سلوك الاطفال بواعث جنسية سافرة . وقاده البحث في الجنس في الطفولة الى مركب أوديب ولم يكتف فرويد بارجاع الامراض النفسية الى اضطرابات جنسية ، بل انما فسر السلوك الجنسى السوى بأنه تعبير عن سلامة هذه الغريزة كذلك بدأ فرويد ، عقب وفاة والده ، في تسجيل وتحليل احلامه لخاصة منذ طفولته ، أى تحليل نفسه ذاتيا . فتأكدت له قوة





فرويد واقفا الى جانب والده

فرويد في السادسة عشرة



فرويد مع والدته في السادسة عشرة



فريد الثالث من اليسار بالصف الخلفي مع أسرته وهو في العشرين



فرید واقصا الی جانب زوجینہ



فرید وزوجینہ مارٹائی عام ۱۸۸۵







فرويد في نهاية القرن الماضي

المنوم والايحالي الفرنسي شاركوه لذي درس
عليه فرويد في باريس خلال محاضرة له





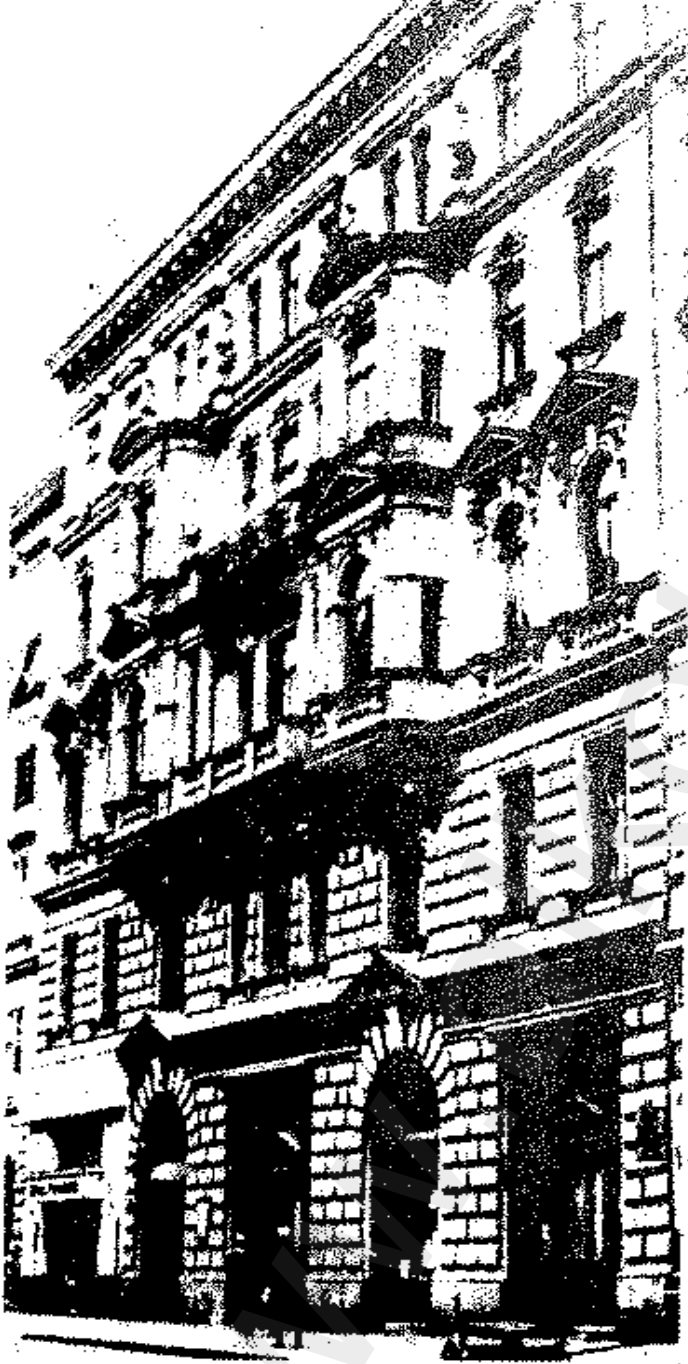
اللجنة الدائمة للأحكام والمواعين التفسيريين بالبيت عام ١٩٥٢م - وزيرى بالصنف الاول من اليسار
للبريد - شرويه فايزى - سافس - واثاقى - ابراهيم - استيخود - جهوش -



فرید مع صاحب فلیپس



فرید و زوجته مع اہل خانہ

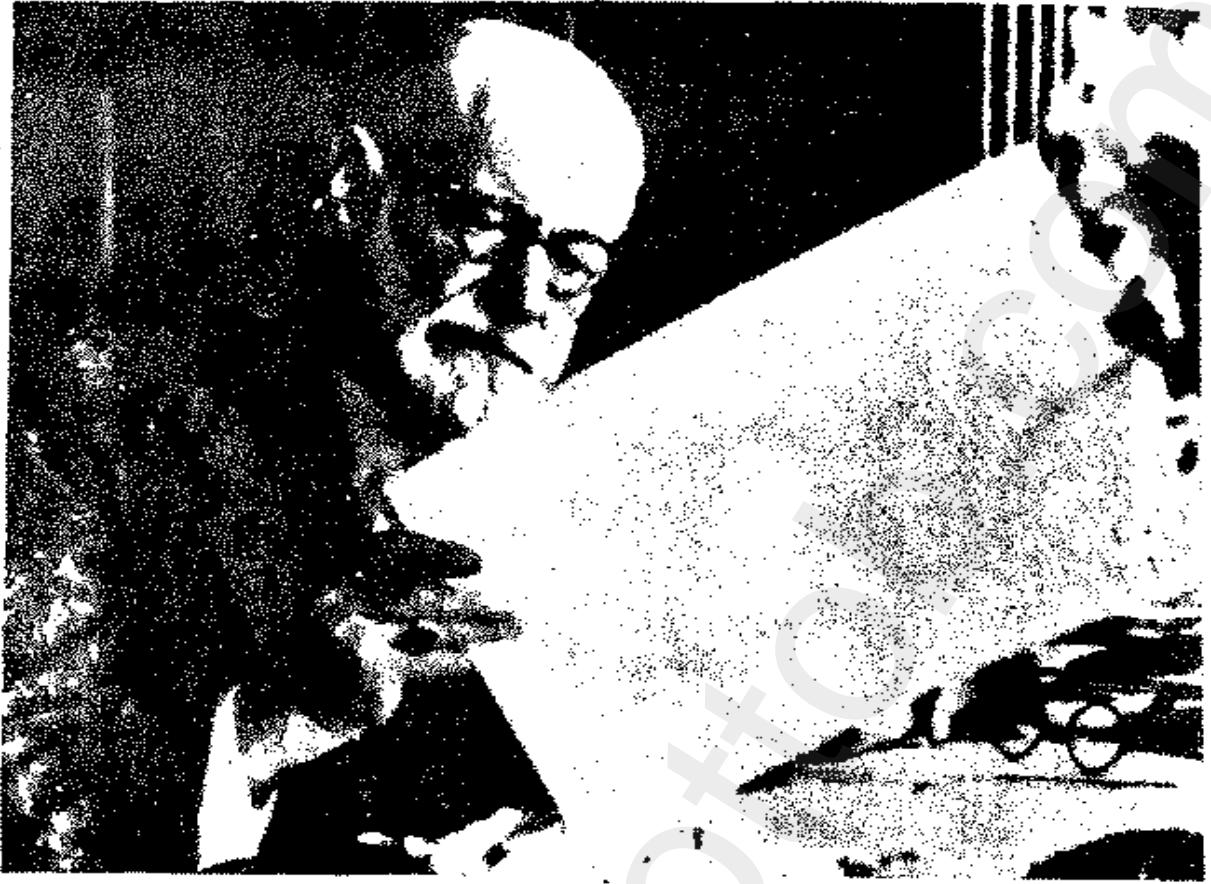


منزل فرويد و عيار تدمر فيينا اوق. نحو لا
الى متحف وطنى منذ عام ١٩٧١





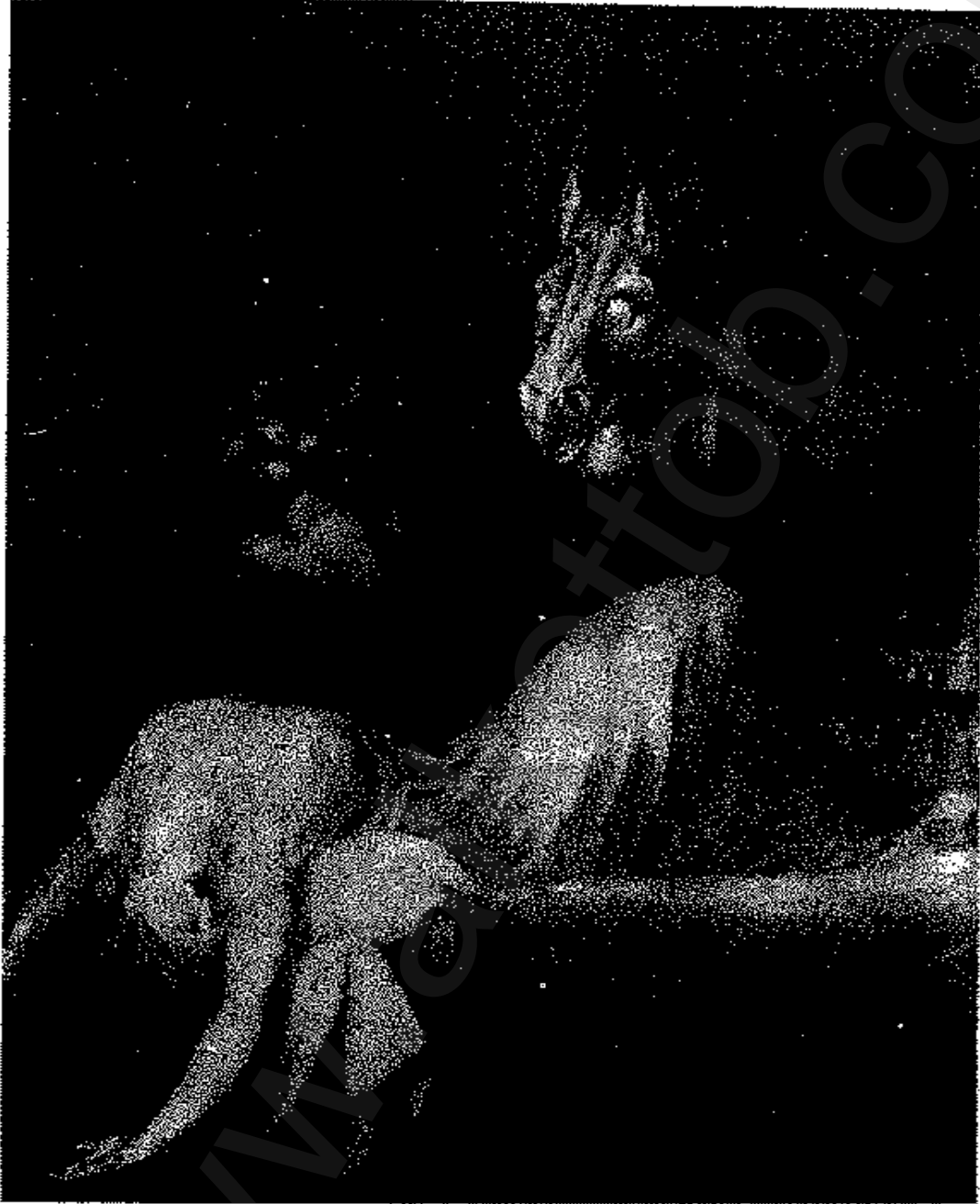
فريد مع ابنته آنا



فرويد في نهاية حياته



فرويد مع ابنتين من اقاربه



الجام - لوحة للفنان جوييا

العلاقة بين الجنس والطفولة . وتأثير انحراف الجنس في الطفل على ظهور علامات غير سوية في البالغين .

ووجد فرويد أن رموز الاحلام كثيرا ماتظهر « رغبات جنسية فجأة » . ولكنه حذر من أنه « لاينبغي الظن أن لجميع أحلامنا بواعث جنسية » .

فمثلا ، وجد فرويد أن « الملك » أو « الملكة » في الحلم كثيرا ما يرمزان الى الاب أو الام في الحقيقة .

وأن « السفر » أو « الخروج » قد يرمزان الى الموت .
وأن « الملابس » قد ترمز الى العرى .

وأن « العصا » أو « الشجرة » أو « المظلة » أو « المسار » أو « السيجارة » أو « السكين » يرمز كل منها الى عضو التذكير في الانسان .

وأن « القارب » أو « البوابة » أو « الزجاجة » أو « القوقعة » أو « العين » أو « التفاحة » أو « الصندوق » أو « الدولاب » أو « السفينة » يرمز كل منها الى عضو التأنيث في الانسان .

وأن « الطيران » أو « الرقص » أو « الوقوع » أو « العزف على البيانو » ترمز الى العملية الجنسية .

وأن « سقوط الاسنان » أو « العمى » يرمزان الى الخصى أو العجز الجنسي .

* * *

يقوم مفهوم فرويد عن الجنس على نتائج الخبرات الجنسية الكامنة وراء أعراض مرضاه ، وتذكرهم لمواقف طفلية مبكرة يكشفون فيها عن تلك الخبرات • وكذلك على نتائج درس مظاهر الشذوذ الجنسي ، حيث تبدو العملية الجنسية عند الفرد الشاذ جنسيا بعيدة عن نشاطاته الجنسية الفعلية •

وقد كتب فرويد طوال حياته عن الجنس ، وأهميته ، وتطوره منذ الطفولة • ولكن أهم ماكتبه في هذا الموضوع هو من دون شك دراسته « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » الذي نشر لأول مرة في ١٩١٠ • وقد توالى بعد ذلك ، وخلال الأعوام الاثني عشر التالية ، ست طبعات من هذه الدراسة عدل فيها فرويد ، وزاد ، في كل منها • وسنعمد في هذه الفقرة على هذا الكتاب •

درس فرويد موضوع الجنس من زاويتين أساسيتين • الأولى هي تاريخه منذ بداية البشرية • والثانية هي موضوعه ، متجاوزا الموضوع الى مايحيط به من حواشي • وذكر فرويد أن موضوع الجنس قديم في « البشرية » كما هو قديم في « الفرد » • فمن الطبيعي أن يكون تأثيره قويا • وأن تكون غريزته صعبة الكظم • وإذا ما حاولنا أن نكظمها ، أن تكون آثار هذا الكظم وبيلة علينا • كذلك ربط فرويد ، كما يقول فولهايم ، بين تصرفات كثيرة في حياتنا وبين الدافع الجنسي • وقال أن هناك ، الى جانب الغريزة الجنسية « عوامل جنسية » لابد من أخذها في الاعتبار • كمثل النظر للغير ، ونظر الغير لنا • وكمثل لمس الغير ، ولمس الغير لنا •

وكمثل أحداث الألم بالغير ، وتحمل ألم الغير .
وقال فرويد أن الجنس يولد في الطفل قبل الولادة ، وأنه يمر
قبل البلوغ ، بـ « مراحل » مختلفة وواضحة . وأن « تثبيته »
على أى من هذه المراحل يعوق تطور الجنسية السوية للإنسان .
وقال ان الجنس لا يخدم في بدايته غرضا محددًا . ولكن هذا
الغرض يكتسبه الوليد من حاجاته الضرورية ، وأهمها في هذا الوقت
حاجته الى التغذية بلبن الام . ففتشاً عنده غريزة الرضاعة . أى
امسك الطفل بشدى أمه ومصه مصاً منتظماً . وتسمى هذه المرحلة
التي تستمر حوالى العام « مرحلة سيطرة الفم Oral Phase »
ويكون فيها نشاط الفم هو أهم نشاطات الطفل . وتكون الام هى
الشخص الذى تمس اليه حاجة الطفل أكثر من غيره ، لا لجرد
الطعام وحده ، وانما للطمأنينة التي يجدها الطفل بين ذراعيها .
ومن هنا نرى أهمية الرضاعة الطبيعية للمولود ، وضرر تغذيته
بالإلبان الصناعية . ويقول السيكلوجيون أن كثيرين ممن يعانون
في حياتهم من سوء الهضم ، وأحياناً كثرة التقيؤ ، كانوا في طفولتهم
سبب الرضاعة .

وترسخ آثار هذه المرحلة فيما بعد في صورة « القبلة » .
ويذكرنا فرويد ان اكتشاف المولود « لذة » الرضاعة من ثدى
أمه تخلق عنده أولى مراحل الغريزة الجنسية . ويفسر تركيز هذه
المرحلة حول فمه ، التذاده مص اصبعه أو الحلمة الصناعية ،
وكلاهما لا يتغذيانه . ولكن غريزة الرضاعة في الطفل غريزة

« مكتسبة » يرى فيها فرويد نموذجا لكل ما يليها من طبقات .
وقد عدد فرويد بعد ذلك ثلاث مراحل أخرى للعزيزة الجنسية .
الاولى حول الشرج . والثانية حول الاعضاء الشبقية . والثالثة ،
وقد أضافها بعد ذلك : هي المرحلة القضيبية .

وفي المرحلة « الشرجية Anal Phase » يقل اهتمام المولود .
بين السنة الاولى والثانية من عمره ، بنشاطه الفمى ، بعد فطامه ،
واستهلاله السير . كما تبدأ الام في توجيه اهتمام طفلها الى
عادات التبول والتبرز وغيرها من مظاهر النظافة . فينتقل اهتمام
الطفل ، نتيجة تلك الاهتمامات ، تدريجيا الى منطقة الشرج .
وتنشأ عند الطفل لذة خاصة من ملاحظته لتأثير التبول والتبرز
على من حوله ، ويتولد عن هذه اللذة ظهور علامات السرور
والغضب الخ لنجاحه أو فشله في التحكم في اخراج بوله وبرازه .
وفي المرحلة « الشبقية Erotic Phase » تستمر نشاطات
الطفل الجنسية في المنح والمتع ، والسرور والغضب الخ . وقد
ترسخ تلك النشاطات فيما بعد بمالها من قدرة على التوتر والارتقاء
كما في المستجنسين . أو تتطور عنها مشاعر المدوان والشعور
باللذة من الالم كما بين الحبين .

وفي المرحلة « القضيبية Phallic Phase » يبدأ الطفل من سن
الثالثة الى حوالى السادسة ، في الانتباه الى الاختلافات
البيولوجية بين الجنسين . ويؤدى به اهتمامه الى الانتقال الى
مرحلة جديدة ، يشعر خلالها الذكر بالخوف على عضوه الذكري

من الخصاء نتيجة لخيالات جنسية طفلية تكون من أهم أسبابها
المحارم الاجتماعية والخوف من الاب • واما الطفلة فتشعر خلال
هذه المرحلة بالغيرة من فقدانها لقضيب مماثل لقضيب الذكر •
وتصور لها خيالاتها أن هذا « النقص » يمس كمالها الجنسي وتغيز
من أمها التي « تمتلك » لنفسها رجلا خاصا بها •

يقول فرويد :

« ان البنات الصغار يلاحظن عضو التذكير في أخ أو قريب لهن
فيقارن بينه وبين اعضائهن ، و« يقعن » في جسده » •

ويقول دارسو فرويد

« ان هذه المقارنة ، وهذا الحسد « رمزي » وليس مادي
وهو ينصب على مكانة الذكر الاجتماعية » •

وقد ذكر فرويد أن « اشباع » الغريزة الجنسية لا يتم ذاتيا •
وانما عن طريق « مؤثر خارجي » • ولكن هذا ليس ضروريا في
جميع الاحوال ، لان الاوهام قد تساعدنا على اشباع الغرائز ،
كما في العادة السرية •

وذكر أن الاطفال ، أناثا وذكورا ، تتعلق جنسيا بأمهاتها •
وينظر الطفل الى أمه على أنها « موضوع حبه Love Object »
وإذا حرم الطفل من هذا الحب ، قد يتحول عن الطريق السوي
الذي يؤدي بعد ذلك الى أشباع غريزته بطريقة سليمة • وفي هذه
الحالة ، قد ينجح الطفل في التسامى بغريزته ، أو التأقلم معها ،
أو الخضوع لها •

وفي المرحلة الجنسية الاخيرة ، تتعلق الصبية بوالدها ، ويستمر الصبي في التعلق بوالدته ، فيما أسماه فرويد بـ « مركب أوديب Oedipus Complex » . ولكن تأثير هذا المركب يضعف بعد ذلك طبيعيا ، نتيجة تغلب التيار العاطفي الذي نطلق عليه أحيانا اسم « الحب » عند خروج الطفل الى المدرسة واختلاطه بالمجتمع الى جانب ما هو واقع عليه من تأثير أسرته ، مما قد يعرضه لاصراعات ويحتاج منه الى كظوم .

فاذا لم يتجه الطفل ناحية المجتمع ، والى خارج أسرته ، فانه يقع ، خصوصا في الفتاة ، تحت تأثير عوامل قد تؤدي به الى الانحراف .

الكشف عن مركب أوديب

تأكدت علاقة فرويد بفيلهلم فلييس Fliess في نفس العام الذي توفي فيه والد فرويد ، وقطع فيه فرويد علاقته بروبير ، عام ١٨٩٦ . والغريب أن فرويد كان قد تعرف على العالم البرليني فلييس (وهو يصغره بعامين) عن طريق برويسير ، حين حضر الاخير الى فيينا في ١٨٨١ . لحضور أحد المؤتمرات ، فقدمه اليه بروبير ، وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٠٢ . وكانت من أقوى وأغنى الصداقات . فقد كان فلييس (وكان طبيب أذن وأنف وحنجرة) على تعدد اهتماماته ، متمرسا في البيولوجيا والرياضيات كثير البحث ، شديد الذكاء ، واسع الخيال ، وأحيانا « الشطحات » ومن « شطحات » فلييس على فرويد ، مما ندم عليه الاخير بعد ذلك ، بحث العلاقة بين الامراض النفسية وشكل الوجه ، خصوصا الانف . على أن خطابات فلييس لفرويد ، وخطابات فرويد اليه (وقد كشف عن الاخيرة في سنة ١٩٥٠) في برلين بعد أن

أنقذت من دمار الحرب) تؤكد الالفة والثقة الكبيرة التي كان يوليها
كلّ منهما في الآخر . وقد ازدهرت تلك العلاقة بين الأعوام ١٨٩٤ ،
و١٨٩٦ ، ثم أخذت في التراجع منذ عام ١٩٠١ . وانتهت تماما في
١٩٠٢ . وتوفي فليبيس صغيرا في ١٩٢٨ .

لماذا كان يغضب فرويد بهذه الشدة على أكثر من عرف من
أصدقاء وتلاميذ ؟

لقد قيل أنها بعض شخصيته المتشددة ، والبطيركية ، والتي
لم تكن ترضى له بالتسامح . أو مجرد قبول المناقشة ، مع أحد من
أصدقائه وتلاميذه . وقيل أنها يهوديته ، وواحد من أسبابه بالعزلة في فيينا .
وانها « انعكاس من غضبه السابق نحو والده » . وأنها خروج
العديد من تلاميذه عليه . وأنها السرطان الذي أصابه منذ عام
١٩٢٣ واستمر يؤله ويعذبه حتى آخر حياته .

* * *

كتب فرويد لفليبيس بعد وفاة والده بأيام :

((ان وفاة والدي قد أثرت على تأثيرا قويا . فقد كنت أقدره
تقديرًا تامًا ، وأفهمه فهمًا كاملاً . وقد لعب دورا كبيرا في
تشكيل حياتي ، بسبب تكوينه الذي يمزج بين الحكمة العميقة
والفانتازيا الخفيفة . لقد عاش معي طويلا . ولكنه منذ توفي ،
توالت على ذهني صور الايام التي عرفتسه فيها . اننى في
غاية الاسى)) .

نعم . لقد هزت وفاة والد فرويد حياته من أساسها ، وطرحته أمامه
أسئلة واستفهامات كثيرة . وجعلته يتساءل عن حقيقة مشاعره

نحو والده • وأيضا صدق ماوصل اليه من نظريات • ومافرض من
علاجات • وما يواجهه أحيانا من مشكلات عويصة •

ويقول أرنست جونز : ان السلوك غير السوى للآباء (أو الكبار)
نحو الابناء هو الذى يؤدي الى كظم غريزتهم الجنسية . وظهور
سمات القلق النفسى عليهم • ويؤدي هذا الى سلوك غير سوى من
الابناء نحو آباءهم (ونحو المجتمع) • ويؤكد جونز أن شيئا من
هذا قد حدث لفرويد وهو فى الخامسة من عمره •

ويقال أن فرويد قد نقل نظريته التى نتكلم عنها « نظرية
الاغواء Seduction Theory » والتى أطلق عليها أحيانا اسم
« الصدمة الجنسية The Sexual Trauma » عن شاركوه •
وجعلها أهم أسباب النيوروز • ولكنه تخطاها بعد ذلك الى درس
الجنس فى الطفولة ومركب أوديب • قيل لابعاد الشبهة عن نفسه
وعن والده • أو ، كما كتب هو لفلييس : لانه من غير المعقول أن
تكون اساءت الكبار للاطفال بهذا الانتشار •

على أن من تلاميذ فرويد المحدثين من يظن أن نظريته كانت
صحيحة • وأنه كان من الواجب عليه أن يتابعها والا يتركها •

* * *

وفى ١٨٩٥ أخذ فرويد باقتراح فلييس بأن يبدأ بتحليل ذاته ،
محاولا أن يستعيد ، وأن يفسر أحلامه ، منذ كان طفلا • وكتب فى
١٨٩٧ الى فلييس :

« ان نفسى ، انا أيضا ، قد انقلبت بالحب لوالدتى ، وبالفيرة
من ابي . حتى اننى اعتبر هذه المشاعر الان ظاهرة عامة
تشمل جميع الاطفال . فاذا كان هذا صحيحا ، فانه يؤكد لنا
حقيقة مركب اوديب » .

وكتب ارنست جونز : أن تطوير فرويد لاسلوب التحليل النفسى
هو احدى معجزتين بارزتين فى حياته . وأما المعجزة الثانية فهى
تطبيقه لهذا الاسلوب على طفولته ، ثم اكتشافه لمركب اوديب .
وقد وجد فرويد فى تحليله لذاته أنه كان يغار بشدة من أخيه
الاصغر يوليوس ، الذى كان يصغره بعام واحد ، ثم لم يعش
أكثر من أعوام قليلة . ووجد أن وفاته قد أصابته بالاسى والندم
وظن فرويد أن سبب قلقه النفسى بعد ذلك هو غيرته من ابن
أخيه ، جون ، الذى كان يكبره بعام واحد . وكان « صديقا حميما
وعدوا رهيبا » له . وكانا معا يحكيان المؤامرات الصغيرة على
ماسبق القول .

ووجد أن حبه لوالدته وغيرته عليها كانا طاغيان . وأن مشاعره
نحو والده كانت تتراوح بين الحب والكراهية ، وبين الاعجاب
والاسى . وأن هذه المشاعر قد سبب له أحلاما مزعجة كثيرة وهو
طفل . وروى فرويد أنه وهو فى السادسة ، وكان ينام بين والديه
على فراشهما ، قد تبول فى الفراش . فثار عليه والده ، وقال له :
انك لن تكون يوما شيئا ناجحا . وكان فرويد يتذكر هذه الكلمات
بعد ذلك أمام كل تحد يصادفه ، فتملاه بالعناد . ولا تبرح
الكلمات ذاكرته اذا ما واجهته صعوبة . وعندما كبر والده ، وأقعدته
المرض ، وأصيب بالعمى ، وأخذ هو فى مساعدته فى تغيير ملابسه ،

والتبول والتبرز على سريريه ، كانت مشاعره نحو والده تتراوح بين
الثماته والاسف ! *

* * *

اكتشف فرويد أن « مركب أوديب » هو « صميم مشكلة الجنس
في الطفولة . وبعد ذلك في حياة البالغين . وحجر الاساس في التحليل
النفسي . (اذ هو) البذرة الاصلية والمحرك الفعلى في الاحلام .
ويصف فرويد مأساة أوديب الاغريقية ، حيث قتل الابن والده
وتزوج من أمه ، بأنها « تصوير مستقر لرغبة الطفل في بلوغ الفحش
الذى يصده المجتمع عن اقتراهه » . ويقول : « ان واجب كل
انسان عصرى هو أن يتغلب في نفسه على هذا المركب » .

وفي هذه المأساة الاغريقية يحذر المنجمون الملك مما سيفعله
به ابنه . فيأمر الملك بأن يقتل وليده . ولكن الام تهربه من القصر
الى بعض الرعاة ، فيربونه بينهم عارفين بحقيقته ، حتى يشب عوده
ويقوى جسده ، ويلمح ذهنه . وحينئذ يتمكن الابن من العودة
واغتصاب عرش أبيه ، والزواج من الملكة ، والدته . وينجب منها
أبناؤها . ثم يجيء من يفتح عيونهم بالحقيقة ، ويثبتها لهم .
فتقتل الام نفسها . ويفقأ الابن عينيه .

ولا ننسى هنا المعنى الجنسي الواضح ، عند فرويد ، للعينين .
يقول فرويد : « أن الانسان السوى يشتمز من أى اتصال جنسى بين
الاب ووالدته . . بينما هو في الحقيقة يرجوه » ! . أنظر الى ثابت
من وجود شسبه واضح بين الام والزوجة التي يختارها الابن .

ان الزوج كثيرا مايختار زوجته على غرار والدته .

« ومع ذلك .. فان هذه الحقيقة التاريخية (زواج الابن بأمه)
التي يؤيدها ، بطريق غير مباشر فولكلور شعوب كثيرة ،
لم تجد يوما من يجروؤ على التصريح بها ، في أى حضارة من
حضارات العالم » .

يقول فرويد :

« ان في خيالات المراهق دوافع صبيانية ، تظهر بين كل حين
وآخر في احلامنا . ومن اهم هذه الدوافع ، الدوافع الجنسية
التي تراود افكار الابناء ، كالنغمة المترددة ، نحو والديهم .
ويحدد اتجاه هذه الدوافع نوع المولود . فبعد المرحلة الاولى
من اتجاه المولود نحو والدته ، يرغب الصبي في والدته ،
ويغفر عليها . وترغب الصبية في والدها ، وتغفر عليه .
ولكن مع رفض ، وتراجع ، هذه الدوافع الجنسية الاولى ،
تتكون واحدة من اهم المعجزات السيكولوجية ، وهي كظم
الصبي والصبية لهذه المشاعر تحت تأثير المجتمع ، وظهور
الحب . فيكون تحسرر الابناء على سلطة الابهاء واستقلالهم
في المجتمع » .

يقول فرويد :

« ان القلق الذي يحدثه السلوك غير السوى في الطفل ، يؤدي
به الى خوف جنسى ، وهو خشيته من ان يعاقبه والده
باستئصال قضيبه . ويؤدي بالصبية الى شعورها بالنقص
لحرمانها من هذا العضو الذي تراه في الصبيان . وينتهى هذا
الى غيرة الصبي من والده ، وغيرة الصبية من والدتها ، ورغبة
كل منهما في الاستحواذ على مكان الوالد أو الوالدة » .

هذا الخوف الذي يتمثل في خشية الطفل من اعتداء والده عليه ،
نقده فرويد بعد ذلك صريحا في حالة المريض « هانز الصغير

Little Hans « الذي ثبتت في ذهنه تلك العقدة . واحتاج الى علاج طويل حتى شفى منها على يد فرويد .
وإذا كان هذا هو شعور الرجل العادي نحو والده ووالدته . فما هو شعور الدون جوان أو الكازانوف ؟ ! .
يقول فرويد : ان مثل هذا الشخص قد تأثر بوالدته تأثيرا زائدا ، لم يستطع التخلص منه . وأن اهتماماته الظاهرة بنساء كثيرات تخفي صعوبات جنسية بالغة معهن . وأنه كثيرا مايكظم في نفسه رغبة شديدة لاشخاص من جنسه .

* * *

لم يكن سهلا للعالم . وحتى لاصدقاء وتلاميذ فرويد . يقول كل آراء فرويد حول الجنس ، ودوره في الطفولة . ومركب أوديب الخ لقد لقيت هذه الآراء معارضة قوية من الخاصة . وساخرة بين العامة . وحتى بين أصدقاء وتلاميذ فرويد . نجد « يونج Jung » يرفض تمييز الغريزة الجنسية عن غيرها من الغرائز فلا يسلم لمركب أوديب الا بقيمة رمزية فقط . ونجد « أدلر Adler » يصر على أن العدوان هو أصل الغرائز كلها ، وأن لكل مشكلة سيكولوجية في بدايتها مركب نقص عضوي .
وقد قطع فرويد علاقته بأدلر منذ ١٩١١ ، وبيونج منذ ١٩١٤ .

www.alkottob.com

القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)

يظن أرنست جونز أن فرويد كان قلقاً منذ طفولته . وأنه أصيب وهو فى الثلاثينات من عمره بأزمات قلبية متكررة . عزاهما طبيبه الى انسداد فى الشرايين ، ووصفها جونز بأنها كانت « هستيرية » . وأرجع فولهايم قلق فرويد وهو فى طفولته الى خشيته من الموت ، وبالذات بسبب وفاة أخيه الصغير يوليوس . ثم وفاة ابنة فرويد « صوفى Sophie » فى طفولتها . وعندما توفى والد فرويد وهو فى الأربعينات ، ظنها فرويد « ضربة قاضية » لتعقد مشاعره وشعوره بالذنب ، الذى تحدثنا عنه ، نحو والده .

وكان فرويد قد لاحظ ، فى حوالى ١٨٩٥ ، العلاقة بين حالات القلق النفسى والجنس . وقال أن أسباب القلق تعود « لسنوات الطفولة ولطبيعة الحياة الجنسية للطفل ، وتصارع العوامل الشخصية والاجتماعية فى نفس الطفل ، واضطراره الى كظمها » .

ثم قال بعد ذلك أن انحباس الليبيدو يولد القلق . والقلق هو الذى يولد الكظم . وليس الكظم هو الذى يولد القلق . وأما النيوروز (العصاب) فيسببه ، عند فرويد ، الفشل فى تحقيق

رغبات مكبوتة • وهنا يمكن للانسان أن يتسامى بعريزته ، أو يتحول عنها . أو يخضع لها • ولكن هذا ليس سهلا ، لشدة العواطف التي تحكمة •

وكان فرويد قد قال أن سبب القلق قد يعود الى «اساءة جنسية» كثيرا ما يسببها أب . أو بالغ . للطفل • ولكنه في ١٨٩٧ تخلى ، كما ذكرنا . عن هذه الفكرة جزئيا وقال : ان سبب القلق النفسى ليس بالضرورة اساءة جنسية من الاب للطفل •

فاذا تمكن النيوروز (العصاب) ظهرت على المريض مظاهر وسمات غير عادية ، منها الارتياب ، والخوف . من أشياء محددة أو غير محددة . والاتیان بحركات غير عادية ، وظهور آلام حسادة على بعض أجزاء جسمه •

ووظيفة المعالج ، عند فرويد ، هي التخلص من كل ما يظهر من هذه الظواهر •

« لانها هي كل مايتبقى من النيوروز • وحقى ان الاطباء يفرقون بين المرض وظواهره ، ويعلنون ان التخلص من الاخير لايعنى القضاء على المرض • ولكن مايتبقى من المرض النيوروزى بعد القضاء على ظواهره هو قدرته على احداث ظواهر جديدة • ولهذا فاننا نرى ان القضاء على هذه الظواهر هو نفسه قضاء على المرض » •

وقد عالج فرويد فى فيينا عددا من المرضى بالنيوروز (العصاب) لعل أشهرهم هو الضابط فى الجيش النمساوى ، والذي يرمز اليه بأسم « الرجل الفأر Rat Man » • وكان هذا الضابط قد استشار

فرويد. لأول مرة في أواخر ١٩٠٧ ، واستمر علاجه حتى بداية عام ١٩٠٩ . وقد نشر فرويد تفاصيل تلك الحالة أواخر ذلك العام .

شكا « الرجل الفار » لفرويد من خوفه الشديد على بعض من يحب ، وهما أبيه وأحدى السيدات . ومن تفكيره أحيانا في التخلص من الحياء بقطع رقبتة بموسى الحلاقة . فلما تحدث اليه فرويد مرات ، ظهر له أن السبب الذي فجر مخاوف الضابط هو ما سمعه من زميل له في الجيش النمساوي من أن الصينيين كانوا إذا ما أسروا بعض الأسرى ، يعذبونهم بتثبيت سلة بها فئران جائعة حول مؤخرتهم . فلا تجد هذه الفئران أمامها سبيلا للخروج أو للطعام الا.قرض مؤخرات هؤلاء الأسرى ! .

وقد تأثر الضابط تأثيرا شديدا بما سمع . وأخذ يفكر فيما قد يحدث لأحبائه ، أي والده وتلك السيدة ، إذا ما وقعوا أسرى في أيدي الصينيين ! .

وكان الضابط يروي قصته الغريبة ، على عادة مرضى النيوروز (العصاب) في هدوء ، وعن اقتناع تام بها . وكان يثور لمناقشة فرويد له في تفصيلاتها . حتى أنه كاد يعتدى عليه اعتداء بالغا عقب إحدى الجلسات . ولكن فرويد وجد عندما استدرجه في الحديث عن هذه السيدة ، أنها كانت حبيبة له ، ولكنهما افترقا منذ شهور ، وعندما استدرجه في الحديث عن والده انه كان قد توفي قبل تسع سنوات من تلك الرواية ! .

* * *

ان الخيال عند الفرويديين مهم كمثل اهمية الحقيقة ، حيث ان
الاصل في الخيال ، كما في الحقيقة ، هو « الدافع » وآثاره على
على النفس .

ولكن الفرويدية توحد بين الجنس وغرائز الحياة . وترى ان
« الغريزة الجنسية Sex Instinct » هي مركز الطاقة النفسية
وأصل النشاط العقلي . وأن الغريزة الجنسية تنشط طبيعيا عند
احتداد عاطفتها ، فتبعث الحركة في الانسان .

وقد جعل فرويد من الغريزة « الجنسية » غريزة أساسية
ومحركة لكل نشاطات الجسم . ولكنه سلم ، خصوصا فيما بعد ،
بوجود غرائز أخرى . كغريزة الحب « ايروس Eros » التي
تريد ، وتحافظ ، على الاشياء . وغريزة الموت « ثاناتوس
Thanatos » التي تدمر الاشياء . ومع انه رفض في حوالى
١٩٠٩ قبول غريزة منفصلة لـ « العدوان Aggression » تناظر
غريزة « الجنس » . وكان هذا من أهم أسباب خلافه مع أدلر ،
الذي تمسك أيضا بمركب النقص ، فانه قد عاد في ١٩٢٣ . فكتب :

« اننى اسلم الان بوجود غريزة للعدوان حتى وان كانت تختلف
عن الغريزة التي وصفها ادلر » .

وكان فرويد قد لاحظ بعض أوجه الشبه بين غريزتي « العدوان »
و « الموت » ولكنه كان دائم التشبث بالاخيرة ، لان « الغرض من
كل أشكال الحياة هو الموت » . وكان قد لاحظ أن كل انسان متحضر
« يتجنب قدر المستطاع ان يتحدث عن موت الاخرين . بل
انه لا يتصور نفسه متمنيا موتهم ، دون ان يتهم نفسه في

مشاعره ، ووصفها بالقسوة وسوء النية . اللهم الا اذا كان طبييا او محاميا او و شيئا من هذا القبيل ، وكان عليه ان يتعامل مع فكرة الموت من وجهة النظر المهنية . وفي غير هذه الاحوال ، لايسامح الانسان المتحضر نفسه اذا تطرق تفكيره الى تمنى الموت للاخرين ، خاصة اذا كان في موت الاخرين بعض النفع له ، كان يحصل على حرية او يكسب بعض المال او يفوز بمركز من المراكز » .

الحج أن يقولاً :

((لقد تعودنا أن نؤكد أن الموت يأتي بالصدفة ، في حادث ، او بسبب مرض او عدوى ، او بفعل الشيوخة . وبهذه الوسيلة كشفنا عن محاولتنا التقليل من شأنه . فبدلا من ان ننظر اليه كضرورة ، اعتبرناه حادثا وعرضا . ولكن ربما كان شعورنا تجاه الشخص المتوفى هو شعور المعجبين بشخص استطاع ان ينجز عملا شاقا وان ينتهي منه . فنحن نؤجل نقده . ونتجاوز عن اخطائه . . ونهتفا صالحين : الله يرضه . . ونجد في هذا التعبير مايرر ان نستعيد محاسنه وان نناسي مالا ينفع نكراه . ولكن فكرة موت الالاف تبسوا لنا في نفس الوقت بشعة جدا ، الامع الحسب التي تكتسح نظرتنا التقليدية الى الموت . فالحرب تواجه الانسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به . لان الناس في الحرب لايموتون بالاحاد ، بل بالعشرات في وقت واحد ، بل بعشرات الالوف في اليوم الواحد . ولذا لايعد الموت في الحرب صدفة . فان حصيلة الاحتمالات هنا لاتدع قولا للصدفة . وبانتفاء هذه الصدفة ، تستعيد الحياة اهميتها ومغزاها ، وتستقيم نظرة الانسان اليها » .

ويقول فرويد أن موقف الانسان البدائى من الموت « قد تميز بالتناقض » . لانه لم يكن ينظر الى الموت نظرة واقعية يسلم فيها بنهاية الحياة . ويتعامل معه بهذه الصفة .

« ويرجع هذا التناقض أساسا الى التضارب فى مواقفنا من موت الآخرين من الأعراب والأعداء ، ومن موته هو نفسه . فهو لم يكن يعترض على موت الآخرين طالما أنه يكرههم . فموتهم معناه أزالتهم من الوجود ، وهو لا يمانع فى هذا . ولكن الانسان البدائى لم يكن يتصور أنه هو أيضا سيموت ، مثله فى ذلك مثل أى إنسان آخر . فإذا مات شخص عزيز عليه ، كزوجة أو طفلة أو صديقة ، ممن يحبهم جدا ، فهذا يعرف أنه هو نفسه ليس بمنأى عن الموت . ومع ذلك فربما أحس إحساسا غامضا أن موت هذا العزيز له ما يبرره ، فقد كان فيه دائما جزء غريب ومعاد لم يكن قد استدمجه فى نفسه . »
ويدعى الفلاسفة أن صورة الموت قد حيرت الانسان البدائى ودفعته دفعا الى التفكير . وأن تفكيره كان نقطة البداية لكل تفكير فلسفى على الإطلاق . ولا اظن الفلاسفة على صواب فيما يزعمون ، وأحسب أنهم قد شطحوا فى فلسفاتهم . وأنا لذلك أشطح مثلما فعلوا ، فأقول : لم يكن الانسان البدائى وهو يرمى جثة عدوه مطروحة فى العراء ، يرهق ذهنه بالتفكير فى لفظ الموت والحياة . لكنه كان يزهو بما حققه عليه من انتصار . وكان يرفض تقبل موت العزيز ، وتتضارب أرائه مشاعره . ولهذا تقبل الانسان البدائى الموت كحقيقة ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة . وتصور أن الأرواح الشريرة تخرج من جسد الميت ، وتخليها عفرينا مرعبا ، قد يعود اليها ، ويحتاج الى أن يتخلص وأن يتطهر منها قبل مخالطة غيره . »

فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية

أخذت مكانة فرويد في الازدياد ، وشهرته في الذيوع ، في داخل وخارج النمسا ، منذ بداية القرن الحالى . وفي عام ١٩٠١ بسداً فرويد في الاجتماع بتلاميذه في عيادته مساء الاربعاء من كل اسبوع وفي ١٩٠٧ زار يونج فرويد في فيينا . وفي العام التالى زاره فيها فيرنيتري Ferenczi . وعقد المؤتمر العالمى الاول للتحليل النفسى في مدينة الموسيقى والاحلام « سالزبورج » في جنوب غربى النمسا . وقد حضره يونج وأدلر بريل Boill وأرنست جونز .

وفي ١٩٢٠ ، اتفق فرويد مع ثمانية من أهم تلاميذه الاوربيين على الاجتماع بهم في شكل مؤتمر مرة في كل عامين في مدينة أوروبية مختلفة . وقد أهدى فرويد ستة من أقرب هؤلاء التلاميذ بعد ذلك نسخة من الخاتم الذى يحمله في أصبع يده اليمنى ، والذى يعثل رأس كبير آلهة الاغريق جوبيتر .

وكان فرويد قد بدأ منذ عام ١٩٠٧ في تطبيق التحليل النفسى على الاعمال الادبية والفنية . وقد وجد أن الحاجة تمس لايجاد منبر علمى ينشر فيه مع تلاميذه أعمالهم وبحوثهم ، فأصدر مجلة

منتظمة جعل من أغراضها الأساسية ، الى جانب دراسة السيكولوجيا
دراسة الاخلاقيات • وقد نشر فرويد في ١٩١٤. « الطوطم والتابو
(المحرم) » ، وفي ١٩١٦. كتابه عن « ليوناردو دافينشي » • وكان
قد بدأ منذ ١٩١٠. في نشر دراسته عن طبقات الشخصية الانسانية ،
وهي التي جمعها في ١٩٢٣. في كتابه « الايجو (الانا) والاييد
(الهو) » •

ويقول أرنستة جونز أن مادفع فرويد الى تناول مشاكل الفنون
والآداب والميثولوجيا ، كان هو بعض ماقرأه من آراء صديقه وتلميذه
يونج حول هذه المواضيع • فقد وجد فرويد أن يونج يناقش هذه
المواضيع مناقشة تاريخية ، وأحيانا أسطورية ، وحتى غيبية ، بينما
كان فرويد يريد تحليلها سيكولوجيا وتفسيرها نفسيا • وقد
امتد الخلاف بين فرويد ويونج بعد ذلك الى مواضيع أخرى ، من
أهمها حقيقة مركب أوديب ومقام غريزة الجنس بالنسبة للغرائز
الآخري ودراسة الشيزوفرينيا (الفصام) •

يقول فرويد أن الشخصية الانسانية تتألف من ثلاث طبقات
هي الايجو (الانا) والاييد (الهو) والسوبراجو (الانا الاعلى)
ولكن هذه الطبقات افتراضية ، وليست مادية • وهذا التقسيم
الافتراضي ، غير النهائي ، هو ما أطلق عليه فرويد بالالمانية اسم
« سيكولوجية الاعماق Tiefenpsychologie » أي أعماق النفس البشرية
أو العلم الذي يكشف عما في أعماقها •

وتتألف « الايد (الهو) Id » من مجموع الغرائز والعواطف
التي تولد مع الانسان ، والتي تحركها دوافع الرغبة واللذة

والعدوان ، كالجنس والطعام الخ • وهي تحتاج منه ، مهما كان
التناقص بينها ، أو صعوبة تحقيقها بسبب العرف أو المجتمع ، الى
تلبية فورية •:

و « الايجو (الانا) Ego » هو هذا الجزء الذي يتأثر بالواقع
ويحس بالمجتمع ، ويقدر أن ماتطلبه غرائز الايد (الهو) ليس دائما
مما يمكن تحقيقه • وان على الانسان العاقل أن يتصرف في حدود
ما هو ممكن فقط •

وتتكون « السويرايجو (الانا الاعلى) Superego كنتيجة
لعلاقات الفرد مع أسرته أولا ثم المدرسة والمجتمع الخ • فهي
ما يطلق عليه أحيانا اسم « الاخلاق » أو « الضمير » • ونواهيها
داخلية ، تتكون وتتبع من داخل الانسان ، بدلا من موانع (الايجو)
الخارجية عنه •:

والتباين بين هذه الطبقات الثلاث قد يكون كبيرا • والصراع
بينها قد يحتدم ، ولكننا لانشعر بهذا الصراع في صحونا • وانما
قد نشعر به خلال نومنا ، حين قد تقضحه أحلامنا •

* * *

ذكرنا أن نشاط فرويد كان كبيرا ومتعددا • فقد كان يستقبل
ثمانى الى عشر مرضى كل يوم ، ويكتب كتبه وبحوثه ومقالاته •
ويرد على خطابات بنفسه ويخط يده • وقد ذكر أرنست جونزا
أنه كان يرد على عشر خطابات من خطابات أصدقائه وتلاميذه خلال
ساعة واحدة •

ولكن في ربيع ١٩٢٣ تأكد فرويد من اصابته بسرطان خبيث في فكه الاسفل وأجرى أولى عمليات استئصاله . ولكن السرطان كان يعاود الظهور في جهات مختلفة من الفك ، مما أرغم فرويد على اجراء علاجات كثيرة مؤلمة و ٣٣ عملية جراحية كبرى لاستئصاله . وكان أكثر هذه العلاجات وبعض العمليات يجرى دون تخدير . وقد سبب السرطان آلاما هائلة لفرويد ، وتوفي فرويد في النهاية بسببه . بعد ظهوره واجراء أولى عمليات استئصاله ، بستة عشر عاما وقد اضطر السرطان فرويد الى أن يقلل من نشاطاته . فأنقص زواره ومرضاياه . وأوقف محاضراته العامة لصعوبة نطقه للكلمات . بل ورفض كل دعوة للطعام ، اذ أصبح لا يستطيع المضغ في سهولة ، وتأنف من ذلك أمام الاغراب .

وكان النازيون الالمان قد رفضوا الفرويدية منذ بداية ظهورهم في المانيا ، وأخذوا يحرقون كتبها منذ عام ١٩٣٣ . فلما دخلت جيوشهم فيينا . في ١٩٣٨ ، ضيقوا على فرويد حتى اضطروه الى اغلاق عيادته . ثم منع من استقبال أصدقائه ، حتى اضطروا للتوقف عن الكتابة . ومع ذلك ، فمما يدل على طبيعته ، أنه حين أحس بالفراغ أخذ في ترجمة مؤلف صغير عن السرطان من الفرنسية الى الالمانية

ولكن الرأي العام العالمي كان يضغط على النازيين ، بحيث لم يكونوا يستطيعون المساس به رغم يهوديته وتبسين أفكاره عن ارمهم . ثم اضطروا بعد شهر واحد من دخولهم فيينا للسماح للهجرة الى انجلترا .

- وقد استقر فرويد في لندن في أواخر ١٩٣٨ • ولكنه لم يمارس العمل فيها كمعالج • بل اقتصرت نشاطه فيها على الكتابة وحدها •
- وتوفي فرويد في لندن في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ عن ٨٣ عاما •

www.alkottob.com

تواريخ في حياة فرويد

- ١٨٥٦ . ولادة سيجموند فرويد في فرايبيرج بمقاطعة مورافيا .
- ١٨٦٠ . الهجرة الى لايبترج ثم فيينا .
- ١٨٦٥ . بداية المرحلة الثانوية في مدارس فيينا .
- ١٨٧٣ . فرويد يختار بعد تردد دراسة الطب .
- ١٨٧٦/٨٢ . الالتحاق بمعمل أرنست بريكه .
- ١٨٧٨ . بداية علاقة فرويد بصديقه بروينز .
- ١٨٨٠ . الانقطاع عن الدراسة لاداء الخدمة العسكرية .
- ١٨٨١ . الانتهاء من دراسة الطب والعمل في حقل البحوث العصبية
- ١٨٨٢ . فرويد يدرس مع بروينز حالة مريضته « أنا أوه » ويتعرف على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز .
- ١٨٨٢/٨٥ . العمل طبييا عصبيا بالمستشفى العام بفيينا .
- ١٨٨٥/٨٦ . فرويد يحصل على منحة ويختار أن يدرس التتويم والايحاء على شاركوه في باريس ، وعند عودته يعمل في مستشفى سالبترير ويبدأ عيادته . -
- ١٨٨٦ . الزواج من مارتا .

- ١٨٨٦ ٩٣ العمل بمستشفى كاسوبتر بفينا •
- ١٨٨٧ بداية علاقة فرويد بفلييس •
- ١٨٨٩ السفر الى نانسي بفرنسا لدرس التنويم على يدبيرنهايم
- ١٨٩٢ فرويد يجرب تداعي الافكار مع مريضته اليزابيث فون أر
- ١٨٩٥ فرويد ينشر مع بروير كتابه الاول « دراسات في الهستيريا » •
- ١٨٩٦ القطيعة مع بروير ، وبداية التعاون مع فلييس ، واستخدام تعبير « التحليل النفسي » ، وفي أكتوبر وفاة والد فرويد (عن ثمانين عاما) •
- ١٨٩٧ فرويد يراجع أعماله ويحلل نفسه ، فيكتشف الجنس في الطفولة ومركب أوديب •
- ١٨٩٨ الانتهاء من كتاب « تفسير الاحلام » الذي نشر بعد ذلك بعامين •
- ١٩٠١ تدهور العلاقة بين فرويد وفلييس • -
- ١٩٠٢ تعيينه استادا غير متفرغ بجامعة فيينا •
- ١٩٠٥ فرويد يبدأ رسائله مع استاذ بجامعة زيوريخ بلولير ، ويتعرف عن طريقه الى يونج •
- ١٩٠٧ فرويد يبدأ تجربة نظرياته على الآداب والفنون •
- ١٩٠٨ فرويد يحضر المؤتمر العالمي الاول للتحليل النفسي في سالزبورج •
- ١٩٠٩ السفر الى الولايات المتحدة والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك •

القطيعة مع أدلر : وفتور العلاقة مع يونج *	١٩١١
فرويد يقطع علاقته بيونج *	١٩١٤
تجهيز محاضراته التمهيديّة متضمنة أفكاره الكاملة *	١٧/١٩١٥
نظريات فرويد تتسع لغريزة جديدة هي غريزة الموت *	١٩٢٠
فرويد يتأكد من أصابة فكه بالسرطان ويجرى أولى عملياته لاستئصاله *	١٩٢٣
وفاة والدة فرويد عن خمسة وتسعين عاما *	١٩٣٠
النازيون يحرقون كتب فرويد في برلين *	١٩٣٣
النازية تطارد فرويد من النمسا فيتركها الى إنجلترا *	١٩٣٨
وفاة فرويد عن ٨٣ عاما	١٩٣٩

www.alkottob.com

بعض سلبيات وإيجابيات الفرويدية

تناولت الفرويدية « نفس » الانسان كعلم ، له قواعده التي تماثل علوم جسده . ووضعت موضع دراسة مقارنة يمكن تحديدها وفهمها . وجعلت للانسان خواصا نفسية موحدة يمكن القياس عليها وتحديد ما هو خارج عنها . وساهم فرويد بدراسات كثيرة نحو فهم الشخصية الانسانية ، وتقديم الاجابات التحليلية والعلاجية والفلسفية لمشكلاتها . كذلك قدمت الفرويدية آراء هامة في نواحي الاخلاق ، والفنون والآداب ، وألقت بنظرات ثاقبة على تاريخ الانسان ، ونشأة وتطور عقائده وأساطيره .

ومع ذلك . . هناك من يقول أن الفرويدية قد قامت على أساس أكلينيكي ، غير تجريبي ، يستهدف مساعدة المريض ، وليس تفسير ماهية مرضه . فهي ليست « علما » . أو هي تفتقر ، على الأقل ، إلى أساليب القياس الرياضية التي تتميز بها العلوم الأخرى . وأن التحليل السيكلوجي عند فرويد ، وفهمه للنفس الانسانية ، أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلوم . وأن بعضها قد يؤلف « خيالات » فنان . أو هي مدلولات أو تفسيرات « لفظية » لبعض مؤسسات من مرضى النيوروز (العصاب) من الطبقة المتوسطة بفيينا . وفرويد

من هذه الواجهة . أقرب الى أن يكون عالما لغويا قبل أن يكون
فيلسوفاً أو عالماً نفسياً ! •

ويؤكد السلوكيون . وعلماء الوراثة . على أن فرويد تجاهل
تجاهلاً تاماً العوامل البيئية والوراثية التي قد تؤثر ، من دون شك ،
في سلوك الانسان •

ومن بين علماء النفس من يعارض فرويد في أصول وتفاسير
كثيرة • بل أن أحدا منهم لم يوافق موافقة كاملة على ما أسماه
بـ « غريزة الموت » •

ويتساءل بعض نقاد فرويد والتحليل النفسي : هل شفى
التحليل الفرويدي مريضا واحدا ؟ ! •

ويقول غيرهم أن فرويد . بحكم جذوره اليهودية ونشأته
البطبركية ، قد قسا قسوة شديدة على المرأة • فقد أكد على
نقصها البيولوجي والغريزي . وعلى غيرتها الجنسية السافرة
من الرجل • ورأى في « زهوها بجسدها تعويضاً عن نقصها الجنسي »
وفي « تواضعها رغبة دفينة في مداراة هذا النقص » ! •

وعلاوة على هذا جعل فرويد من الحب مقابلاً كاملاً للشهوة •
واعتقد أن ظهور الشهوة ، يعنى اختفاء الحب • وأن تفريغ الانسان
عن شهوته يعنى تخطيه للخط الفاصل بين الحب والشهوة ، وتخليه
عن صفات المحب •

* * *

لم يعد العلاج النفسي المعاصر يبحث عن أصول الصدام النفسي •
ولم يعد المريض يستلقى على أريكة الطبيب النفسي ، ويتردد على
عيادته مرات في كل اسبوع • وإنما أخذ العلاج النفسي يهتم

بمشاكل الحياة العصرية . كالمعلم والنجاح والمال . ويستعين في
سبيل الوصول لنتائجهم بكشوف العاوم الاخرى . كالبيولوجيا
والاجتماع .

وأصبح العلاج النفسى يرتضى دراسة سارك الانسان . بدلا
من درس أحلامه .

ويستخدم الادوية المؤثرة على شخصية الانسان . بدلا من
تحليلها . ويستعين بالعلاج الجماعى . أو العلاج الدوائى . في
تحقيق أهداف قريبة ومحددة .

ويحاول أن يقنع المريض بطريقة جدلية بضرورة اتخاذا طريق
معين ، أو الاقلاع عن عمل شىء ضار .

ولكن فرويد لا يزال للآن الرائد الاول للتحليل النفسى .
والسيكولوجى البارز الذى درس الجنس . وتحدث عن دوافعه ؛
مثلا استبرغور الشخصية الانسانية ؛ وترك عنها فهما واضحا
ومتكاملا . بل هناك من يؤكد أنه ؛ من دون منازع . أعظم علماء
القرن العشرين .

وقد ظهر أثر فرويد البارز لا فى علم النفس وحده . وانما فى
علوم كثيرة كالفسىولوجيا والفلسفة والانثروبولوجيا والسوسىولوجيا
والبيداجوجيا الخ ، وعلى نشاطات متعددة فى الآداب والفنون .

وقد سبق القول الى أن دراسات فرويد الاولى قد أشارت الى
آثار الهرمونات الجنسية التى اكتشفت فى الذكر والانثى بعد ذلك .

وفي الفلسفة ظهر تأثير فرويد واضحا على المدرستين الالمانية والانجليزية والامريكية . كما مثله الفيلسوف الالماني ماركوس Marco الذي أثر بشدة في اليسار الاوربي . وبعد ذلك الامريكى . والسوسولوجيين الامريكين هورنى Horney وفروم Fromm اللذين عالجا . مع تلاميذهما المختلفين . مشاكل المجتمع والثقافة الغربية . كذلك أثرت المدرسة الانجليزية « المناهضة للطب النفسى Antipsychiatric في المجتمع الغربى ببحوث ومناقشات كبيرة النفع . وقد ذكر الشاعر الانجليزى أودين Auden أن فرويد « لم يعد بالنسبة لهذا الجيل شخصا ، وانما أصبح مناخا كاملا له » . وفي القصة بالذات . ظهر تأثير فرويد واضحا على مدرستى توماس مان Mann وجيمس جويس Joyce بالذات . بل أننا لانجاوز الحقيقة اذا قلنا أنه ليس هناك أديب أوفنان معاصريستطيع الآن أن يتجاهل السيكولوجية الفرويدية في إنتاجه . واذا التفتنا الى زاوية واحدة . هي علاقة الطفل بوالديه ، فهل يستطيع أديب أو فنان أن يصنع عملا أدبيا أو فنيا من دون أن يحيط بالأسرار الكثيرة التى كشف عنها فرويد في هذه الناحية ؟ .

لقد قام دومينيك فونانديه بدراسة لموسيقى موتزار Mozart فوجد أن شخصية « والد » موتزار تتسلط على موسيقاه . وأن بعض مقطوعاته تفضح الازمة بين هذا الموسيقى العظيم ووالده . وتعلو وتعلو كى تحتج عليه وتثور على استبداده به . وقد حاول موتزار أن يتزوج من حبيبة له ، ولكن والده منعه عن ذلك ، فاختر الموت على الحياة .

وإذا نظرنا الى تأثير فرويد على الفنون السريالية . وجدنا
أن السرياليين يعتبرون فرويد هو « الاب الروحي » لمدارسهم .
فهم لم يلتفتوا الى ما سبقهم من مذاهب . بل مزجوا على ضوء
تعاليمهم وبطرق غاية في الابتكار والتجديد . بين الحقيقة والعلم .
والجد والهزل . والصرامة والغموض . وقد لجأوا الى الرموز .
والاساطير . واستعانوا بالجنس . وترجموا الغرائز . خصوصاً
غريزة الموت . كي يخرجوا لنا بأشكال جديدة من هذا الفن .

www.alkottob.com

كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى

ذكرنا أن كُشوف فرويد وكتاباتهِ لم تلاق الا التجاهل و التصغير والسخرية في احيان ، في داخل النمسا وخارجها طوال سنوات كثيرة وأن آرائه ، خصوصا في الجنس ، وعن مركب أوديب ، قد نفرت منه كثيرا من الاصدقاء والتلاميذ . حتى ان برويبر قد قطع علاقته به بعد نشرهما لكتابهما « دراسات عن الهستيريا » . وعندما نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » في ١٩٠٠ اثار عليه ضجة كبيرة بين علماء وأطباء فيينا . رغم أن الكتاب لم يوزع في طبعته الالمانية الاولى سوى ستمائة نسخة .

ومع ذلك ، فان هذه النسخ القليلة كانت بداية معرفة العالم الخارجي بفرويد وكتاباتهِ . فقدم استاذ جامعة زيوريخ بسويسرا الالمانية « بلولير Bleuler » بهذا الكتاب . وقرأ لفرويد بعض كتاباته الاخرى ، فاشهد اعجابه به وأخذ في مراسلته . ثم قرر في ١٩٠٧ أن ينتقل اليه زائرا مع تلاميذ جامعته ، في زيارة شهيرة الى عيادته في فيينا كانت أشبه بالحج . وقد قدم بلولير فرويد الى استاذ:

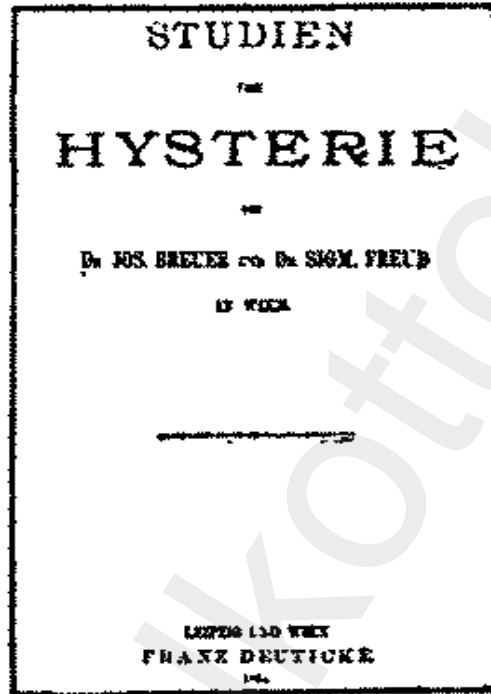
سويسرى آخر . هو يونج . وكانت معرفته ببلولير ويونج هي بداية
اكتشاف العالم الخارجى لذلك العبقرى الفيينى .

وفى ١٩٠٨ . اجتمع فرويد مع بعض من تلاميذه فى شكل مؤتمر
علمى فى سالزبورج . وألف فى العام التالى . ١٩٠٩ ، فى فيينا
« جمعية التحليل النفسى » . وفى نفس العام . سافر فرويد الى
الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات وللتعرف على اساتذة
علم النفس بها . وقد أهدته جامعة كلارك الدكتوراة الفخرية .

وفى ١٩١٠ . تحولت جمعية فيينا الى « الاتحاد الدولى للتحليل
النفسى » الذى شمل أعضائه أكثر انحاء العالم المتمدن . وبين علمى
١٩١٢ و ١٩١٣ شارك فرويد فى أعمال مؤتمرات فيمار وبودابست
وميونخ . وفى ١٩٢١ و ١٩٢٢ شارك فى أعمال مؤتمر لاهاي
وبرلين .

وقد أدت الخلافات بين فرويد وبعض اصدقائه وتلاميذه ،
كبروير (١٨٩٦) وفلييس (١٩٠٢) وأدلر (١٩١١) ويونج (١٩١٤)
الى محاولة فرويد القبض على أزمة حركة التحليل النفسى والاتحاد
الدولى . فأشترط أن يكون الاتحاد مسئولاً عن تضييق علماء
النفس ، والاعتراف بهم ، وعقد اجتماعاتهم ، ونشر مطبوعاتهم
وأن يكون تدريب العلماء الجدد على أيدي الاعضاء المؤسسين
للإتحاد . واختيرت لجنة من بين هؤلاء الاعضاء لامتحان علماء
النفس قبل التصريح لهم بمزاولة التحليل النفسى ! .

ويلاحظ أن فرويد قد أخذ يطبق نظرياته منذ عام ١٩٠٧ على
الاعمال الثقافية والدينية . فنشر فى ذلك العام تحليله لكتاب



صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب بروير
وفرويد « دراسات عن الهستيريا »
المنشور في عام ١٨٩٥

يانسن عن لاجراديفا • وأنه قد أخذ يكتب عن الاساطير (المينولوجيا)
والدين منذ ١٩١٨ • وأنه قد نشر آرائه المتشائمة في التمدن
الانسانى وفي مستقبل الانسان منذ ١٩٢٩ •

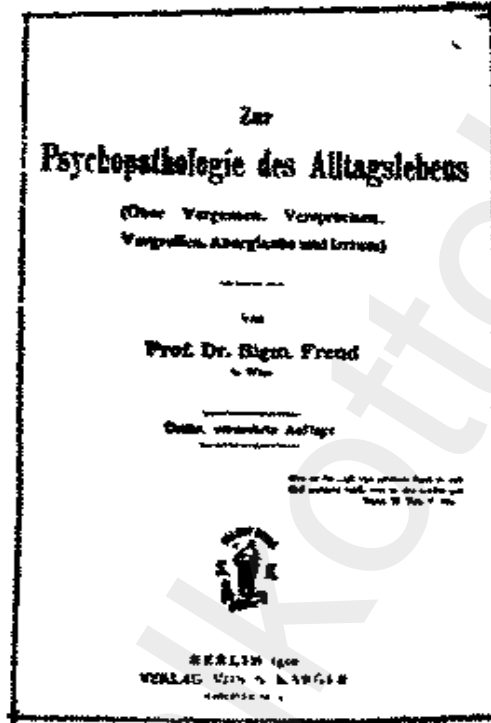
* * *

نشر فرويد في ١٨٩٥ . بالاشتراك مع برويسير ، كتابهما
« دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie » وهو يضم . بالاضافة
الى المقدمة التى كتبها المؤلفان . دراسات منفصلة لكل منهما عن
حالات الهستيريا التى صادفتها • وقد سبق التحدث عن بعض
هذه الحالات . ومنها حالة « أنا أوه » لبرويسير وحالة « اليزابيث
فون أر » لفرويد • وكذا عن اختلاف وجهة نظر المؤلفين . وهو
الذى أدى الى أن يصف كل منهما حالاته مستقلا عن الآخر •

ويعتبر كتاب فرويد « تفسير الاحلام Die Traumdeutung »
وهو الذى انتهى منه في ١٨٩٨ . ونشره للمرة الاولى في ١٩٠٠ .
واحد من أعظم كتبه . ومن أفضل الكتب السيكلوجية على الاطلاق •
وقد أعيد طبع هذا الكتاب مرات كثيرة في حياة فرويد • وكان
فرويد يعيد تنقيح الكتاب . ويضيف اليه . في كل مرة ، حتى تركه
عند وفاته في ضعف حجمه الاول •

ويتناول الكتاب نظريات فرويد في تفسير الاحلام ، ومعانى
رموزها ، ومغزاها في التحليل الفرويدي • كما يضم بعد احلام
فرويد ، التى تفضح شيئا من خبايا حياته وأسراره •

وفي ١٩٠١ نشر فرويد كتابه « سيكلوباثولوجية الحياة اليومية
Psychopathologie des Alltagslebens » وتحدث فيه ، الى جانب عرضه



صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب
فرويد « سيكوباتولوجية الحياة اليومية »
المنشور في عام ١٩٠١

لسيرته ، عن بعض نتائج تحليله الذاتى . كما تحدث عن مغزى الهفوات ، والاطياء . وحوادث النسيان التى قد يقع فيها الانسان بلا قصد . فأرجع هذه الهفوات الى المواطنين المكظومة . وضمن فرويد هذا الكتاب المقالة التى نشرها فى هذا الموضوع منذ ١٨٩٨ « الميكانيزم المحرك للنسيان » .

وقد نظر فرويد فى هذا الكتاب للحب نظرة مادية صرفة . فأرجعها الى « غريزة حيوانية » فى الانسان ، تستقر فيه منذ قديم . وقال أن أى تغيير فى طابع الحب « الشهوانى » لا يمكن الوصول اليه من دون المساس بالفوائد الحسية الضرورية لوجود الانسان . وفى ١٩٠٥ استغل فرويد الاسطورة الاغريقية عن حب الرب ايروس للاميرة سيكو فى تقديم كتابه « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس *Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie* » . وكانت ربة الجمال عند الاغريق . أفروديت . قد سمعت بجمال سيكو *Psycho* (وتعنى الكلمة الروح فى الاغريقية) وغارت منها . فأمرت أفروديت ابنها ايروس . رب الحب ، بأن يعذبها . ولكن ايروس يقع فى غرام سيكو ، وينقلها الى قصر بازخ ، ويقتنعها بأنه زوجها . ولا يزور ايروس سيكو الا فى الظلام . ويطلب منها ألا ترى وجهه . لكن أخوات سيكو ينجحن فى تحريضها على رؤية وجه حبيبها . فتقوم سيكو من مرقدتها فى الظلام وتوقد قنديلا صغيرا ، وترى على ضوءه وجه ايروس . وتتعرف عليه . ولكن نقطة زيت ساخنة من القنديل تقع على كتف ايروس العسارى فى نومه ، فيستيقظ . ويعترف . ويغضب . وفى نفس اللحظة يختفى القصر الذى عاشت فيه سيكو .

ثم تأخذ افروديت بنفسها في تعذيب سيكو . وتدبير المكائد لها .
ولكن ايروس لايزال يحبها . فيساعدوها مرات . ثم يذهب الى
الرب تريوس ويطلب اليه مساعدته في التوفيق بينه وبين حبيبته . فيجعل
تريوس من سيكو ربة خالدة . وتلحق بحبيبها ايروس فوق جبل
الآلهة : أولمب .

ويضم كتاب فرويد « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » أهم
آرائه عن « غريزة الجنس » و « العوامل الجنسية » . ويتناول
تطور « المراحل الجنسية » في الطفولة . وأثره الجنسي على
البالغين . وفي تكوين الانسان السوي والشاذ . ودور الجنس .
ومغزاه في الاحلام . كما يتحدث فرويد عن مركب أوديب . ومعناه
وآثاره . وقد تناولنا هذا الموضوع في بعض النصول السابقة .

وقد ختم فرويد هذه المرحلة الاولى من حياته وكتاباته . حتى
الحرب العالمية الاولى . بنشره في ١٩١٠ لكتاب « حول التحليل
النفسى Uber Psychoanalyse » . ثم بتجهيزه خلال تلك الحرب .
أو بين الاعوام ١٩١٥ و ١٩١٧ . لمحاضراته التمهيدية التي جمع
فيها ونقح أكثر افكاره وتعاليمه حتى نهاية هذه المرحلة .

www.alkottob.com

المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد

بدأ فرويد في القاء نظراته النفاذة على الفنون والآداب والاساطير منذ ١٩٠٧ . ولكنه تحول تحولا كبيرا لدراستها منذ الحرب العالمية الاولى . فنشر في ١٩١٣ / ١٩١٤ « الطوطم والتابو Totem und Taboo » ويترجم التابو أحيانا بالمحرم . و « الطوطم » كلمة من كلمات الهنود الحمر الامريكيين . ولكنها انتشرت في أواخر القرن الماضي بين علماء مختلفين . والطوطم شيء طبيعي . ومادى . وقد يكون حيوانا . يرمز لشخص أو لقبيلة بدائيين . وقد وجد فرويد أن القبائل البدائية تستخدم « الطوطم » الذى يتمثل في زواج الاقارب . لمنع الفحش . لان الاقارب كالابن وأمه . أو الاخوة والاخوات . يحملون طوطما واحدا . ولذلك لايجوز زواج أحدهم من الآخر . ونلاحظ هنا أن فكرة الطوطم قد طورت لدفع أذى بيولوجى . يحدثه فعلا زواج الاقارب . ولكن الطوطم قد يعنى أيضا منع قتل الحيوانات أو الطائر الذى يحمل طوطم الشخص أو القبيلة ، لما يحمله معنى القتل للطوطم من أذى للشخص أو القبيلة التى يرمز لها .

و « التابو » يعنى امتناع هؤلاء البدائيين (ويظن أنه قد نشأ بين

سكان جزر جنوب المحيط الهادى) عن ارتياد أماكن . أو التحديث بأسماء أشخاص أو حيوانات الخ . لاسباب عقائدية . ولكن التابو يمتد أيضا الى كل مايتصل بتابو . فيصبح هو الآخر محرما . وفي ظن فرويد أن التابو قد نشأ عند الانسان البدائى هو الآخر لضرورة تجنب الفحش . وفي تابو الموت عند القبائل البدائية . وجد فرويد أن المغزى هو تجنب أخطار الموت وضرورة استمرار الحياة . وعند تلك القبائل أن الموت لايجىء الا عن عدوان « انسان آخر » . وأن المرض هو « انتقام روح خفية » . ولكن روح الميت وحدها هى التى تشعر بذلك العالم الخفى . لان الموت يعنى خروج الروح من الجسد وتحليقها فى عالم آخر .

وقد وجد فرويد أن قتل « الاب » كان منتشرا بين القبائل البدائية . وأن السبب فى القتل كان تخليد وعبادة الاب المقتول . وقد أدى هذا الى « الشعور بالذنب » لهذه الخليئة الكبرى . ثم الى الاتجاه الى استخدام طوطم على شكل حيوان ، والاستغناء عن قتل الاب . ويلاحظ هنا أيضا أن فكرة قتل الاب ، أو زعيم القبيلة . قد جاءت لضمان تجديد شبابها وخروج أجيال قوية تالية عندما يطعن الاب أو الزعيم فى السن .

ويسمى فرويد هذه المرحلة ، مرحلة تكالب الابناء على الاب ، وتغلبهم عليه . بالمرحلة « الطوطمية » . ويقول أن هذه المرحلة كانت بداية نشأة القيود ، التى فرضتها الجماعة على افرادها لايجاد النظام الذى أدى بعد ذلك الى القانون .

ووجد فرويد أن المجتمعات البدائية قد ظلت جامدة لم تتطور

« لان الجماهير لاتقبل عادة التغيير ، وتستسهل السير على الماضي »
وأن هذه المجتمعات البدائية تستبد بها على الدوام . سواء في
تفكيرها أو في قوانينها . فكرة الفحش .

كذلك وجد فرويد في النار « مغزى جنسى » عند البدائيين .
وقال : ان الرغبة تستبد بالرجل البدائي لمحاولة اطفائها بالتبول
عليها . لان في التبول « اطفاء جنسى لغريزته » وتمثيل لقوته
الجنسية أمام أفراد قبيلته . ولهذا نجد أن « المرأة الكاهنة »
هى التى اختيرت دائما ، ومن دون الرجل . لحراسة النار المقدسة .
وفى ١٩١٦ ، نشر فرويد كتابه « ليوناردو دافنشى
Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته » .
وفى هذا الكتاب ، الذى كتبه فرويد منذ ١٩١٠ وطبق فيه نظريات
التحليل النفسى على مادرسه عن حياة وأعمال ليوناردو ، أرجع
فرويد الابتسامات الشهيرة على تماثيل الفنان كـ « الموناليزا » و
« سانت آن » وعجزه عن اتمام أعماله . وتحطيمه لتمثال « فينوس
ديه ميلو » بعد اتمامه له ، الى « صدمة جنسية » الحقت به وهو
صغير .

وكان فرويد قد أبدى اعجابه وشغفه بليوناردو . وكتب لفلبليس
منذ ١٨٩٨ : « وربما لم يتمتع ليوناردو ، أشهر أعسر في تاريخ
البشرية . طوال حياته : بعلاقة غرامية » .

والمعروف أن ليوناردو كان ابنا غير شرعى لام فلاحه ، هى
كاترين ، وأب شاب كان يطلب العلم في فلورنسا . فلما ترك الاب
المدينة . احتضنت الام ابنها بشدة فى غيبة أبيه . حتى أصبح الاب

مهاميا . وتزوج من سيدة أخرى هي دونا البيرا . ولكن الزوجة الجديدة لم تتجب أطفالا . مما دعا الأب الى نزع الابن وهو في حوالى الرابعة من عمره من والدته وتسليمه لزوجته .

ومع أن الام الجديدة كانت كريمة مع ليوناردو . فان حب ليوناردو لأمه كان قد اتخذ طابعا . نسبيا « أدى الى تقمصه لشخصية أمه . واختياره للموضوعات المرادفة لها . وكذلك لكبت شديد للجنس ثم انحراف به . احتقار له . ثم تسام بغريزته الى الاستطلاع وحب المعرفة . وأما الحرمان الابوى . فقد أدى الى اهماله لصورة (ابنائه ؟) ونبذ السلطة « الابوية » واتخاذ موقف المعارضة الدائمة .

ويقول فرويد أن آثار هذه الحياه قد ظهرت واضحة في حب ليوناردو للحياة الرغدة . والجميلة . وابتعاده عن النساء . واعجابه بجمال الاطفال . ثم التردد والتأخير في اتخاذ القرارات . وتناقض النظرة في صورة وظهور امرأتين معا مع طفل واحد في صورة « العذراء وحنة » .

يقول فرويد عن كاترين والدة ليوناردو :

« لقد فقدت الام زوجها ، فعوضت هذا بالطفل الذى انجبته منه . وحننت عليه بأكثر مما تحنو الام عادة على ابنها . حتى حرمته من قوته الجنسية في سن متقدمة » .
الى أن يقول :

« وهكذا فقد الابن خيالاته الطبيعية وركزها في والدته . وظهرت آثار هذا على وجوه تماثله ذات الجنس المزدوج » .
وفى ١٩٢٠ نشر فرويد كتابه « ما وراء مبدأ اللذة

« Tenseits des Lust Princips » الذى أكد فيه أن البحث عن السعادة وتجنب الألم هي التي تحكم وتوجه تصرفات الانسان . والى أن الفرد يحتاج دوما الى أن يشبع الدوافع الليبيدية لغرائزه . والى أن يخفض توتراته وقلقه ، بالاستجابة لها أو التسامى بها . ولكن الانسان لا يستطيع ، مع ذلك ، أن « يحتل اللذة المتصلة » أو « السعادة المفرطة » . • Massenpsychologie und Ich - Analyse

وقد نشر فرويد بعد ذلك بعامين . أى في ١٩٢٢ . كتابه الصغير والهام « سيكولوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) Massenpsychologie und Ich - Analyse » الذى حاول فيه أن يدرس الروابط التي تربط بين أفراد الجماعة وبين رئيسها . وانتهى فرويد الى أن « الدوافع الليبيدية » هي أساس تلك الروابط . وأنها تربط بين أفراد الجماعة . وبينهم وبين رئيسهم . وأن أفراد الجماعة يشتركون في « وهم » يتلخص في أن رئيسهم « يجب أفراد جماعته حبا متساويا » . وأن هذا الحب هو الذى تقوم عليه روحهم المعنوية . وأنه اذا ظهر لهم أن رئيسهم يفضل بعضهم على البعض الآخر ، انهارت تلك الروح .

وفي ١٩٢٣ ، نشر فرويد كتابه عن الشخصية الانسانية « الايجو والايدي Ego und Id » . فجعل منها ثلاث طبقات . هي الايجو (الانا) والايدي (الهو) والسوبر ايجو (الانا الاعلى) . وطبقة الايدي (الهو) هي ، على ما ذكرنا ، الطبقة الغريزية الاولى . والتي تحتاج منا الى تلبية فورية . وطبقة الايجو (الانا) هي الطبقة الثانية . التي ترن رغبات الطبقة الاولى مسترشدة بشرائع المجتمع

وتسمح بما يمكن تحقيقه منها • واما الطبقة الثالثة فهي السوبر
ايجو (الانا الاعلى) . التي تتبع من داخل الانسان ، وترن رغائبه
بميزان الاخلاق والضمير الخ • وقد وجد فرويد أن الصراع بين
الطبقات الثلاث قد يخدم . وقد يؤدي الى القلق ، ولكننا لانشعر
به في صحونا . وانما تفضحه أحلامنا •

وفي ١٩٣٠ نشر فرويد كتابه « أمراض القمدن Zivilisation und seine
Unzufriedenheit » الذي بحث فيه أمور الحب والسعادة
الانسانيين . وقيود المدنية . وأمراضها • وقد كشف فرويد في هذا
الكتاب عن نفس متشائمة غاية التشائم ، حاول النقاد ارجاعها الى
حالته الصحية المتدهورة أو الى الحالة السياسية غير المستقرة
وقتذاك في أوروبا •

وقد فرق فرويد في كتابه بين الحضارة والثقافة • وقال ان
الاولى نتيجة للتانية • وعدد سمات الدولة المتحضرة : فقال أن كل
شيء فيها « يستغل ويستثمر لصالح الانسان . ويساعد على حمايته
من الطبيعة » • وأن الانسان فيها يحاط برعاية كاملة • ومهاراته
توجه لهذا السبب الى ما يبدو أنه أشياء غير نافعة ، كزراعة الحدائق
والمنتزهات ، وبناء الملاعب الخ •

وقال ان الدولة المتحضرة هي تلك التي تولى الانشطة الفكرية
اهتماماتها • « ولكن أهم ما يميز الدولة المتحضرة هو قيامها على
شيء من الزهد والارتقاع عن اشباع الغرائز » •

وقال فرويد أن الدولة المتحضرة تتميز أيضا بالنظام « لان
للنظام فوائد • وهو يمكننا من استخدام المكان والزمان على الوجه



أحب فسرويد موسى و اعتبره
مصريا لا عبريا

!الاکمل ، وبيغنيننا عن بذل الطاقة الذهنية من دون طائل « .

يقول فرويد :

« حقيقى ان التمدن يتقبل الحب ، بل ويرفعه ارفع مكانة .
ولكن مكان الحب فى حياتنا المعاصرة يفسر شيئاً فشيئاً .
(وهذا لان) اغراض الحب تتعارض ، فى الحقيقة ، مع اغراض
التمدن . كما ان هذا يحاول على الدوام فرض قيوده على
مابقى لنا من حب فى حياتنا » .

ويقول فرويد :

« ان الانسان يبحث بفريرته عن السعادة . ولكن طبيعة تكوينه
لا تسمح له بان يرى منها ، وبصعوبة ، وعن طريق مخالف
لطباع الحياة ، الا قليلاً . وعلى النقيض من ذلك ، نرى الالام
تلاحق الانسان فى سهولة » .

الى ان يقول مفسراً مصدر هذه الالام:

« ان هناك ثلاث مصادر لهذه الالام . الاول هو جسم الانسان
والثانى هو العالم الخارجى . والثالث هو علاقته بالآخرين
ولهذا فان جهود الانسان فى التخلص من هذه الالام تزيد عن جهوده
فى محاولة جلب السعادة لنفسه . وحتى اذا كانت طبيعته
الخاصة تسعى وراء سعادته ، فهو فى حياته المدنية لا يكاد
يحظى الا بتجنب الالام » .

وفى ١٩٣٩ نشر فرويد كتابه « موسى والتوحيد

Der Mann Monotheistisché Relegion . وفى هذا الكتاب اعتبر فرويد

موسى مصرياً وليس عبرياً . وأكد صراحة أن الايمان بالتوحيد

كان كسفاً مصرياً خالصاً . وقد اعتمد فرويد فى ما كتبه هنا على

دراسات برستد Breasted التى توضح أن اخناتون كان اول

من نادى بالتوحيد .

وعد ذكر برييل ؛ وهو من أوائل تلاميذ فرويد . أن فرويد كان « يتخيل نفسه » عن معرفة ؛ أو عن غير معرفة . نبي اسرائيل « الذي نادى شعبه بالصراحة الى الخلاص » . وقال أن تمثال مايكل أنجلو لموسى كان يملأ فرويد بالاعجاب والفخر « وخصوصاً أصابع » التمثال التي تسند جانب الوجه « والتي تجعل من طريقة جلوس فرويد أقرب ما تكون الى طريقة جلوس موسى » .

أهم مؤلفات فرويد

(بالاشتراك مع بروير) دراسات عن الهستيريا	١٨٩٥
Studien uber Hysterie	
Die Traumdeutung	تفسير الاحلام ١٩٠٠
	سيكوباتولوجية الحياة اليومية ١٩٠١
Zur Psychopathologie des Alltagslebens	
	ثلاث مقالات في نظرية الجنس ١٩٠٥
Drei Abhandlungen Zur Zexualtheorie	
Über Psychoanalyse	حول التحليل النفسي ١٩١٠
Totem und Taboo	الطوطم والنابو ١٤/١٩١٣
	مقدمة في حب الذات ١٩١٤
Zur Einführung des Narzissmus	
ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci دراسة سيكو	١٩١٦
جنسية عن ذكريات طفولته	
Tenseits des Lustprinzips	ما وراء مبدأ اللذة ١٩٢٠
	سيكولوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) ٢٢/١٩٢١
Massenpsychologie und Ich - Analyse	
Ego und Id	الايجو (الانا) والايدي (الهو) ١٩٢٣
Die Frage der Laienanalyse	مسألة التحليل النفسي ١٩٢٦
Zukunft der ein Illusion	مستقبل وهم ١٩٢٧
	أمراض التمنن ١٩٣٠
Zivilisation und Seine Unzufriedenheit	
	موسى والتوحيد ٣٨/١٩٣٤
Der Mann Moses und die Monotheistische Religion	

اهم المراجع

بالاضافة الى اعمال فرويد في اللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية)

أحمد عكاشه : علم النفس الفسولوجى والعطب النفسى المعاصر

سلامه موسى : عقلى وعقلك

سيجموند فرويد : ا ترجمه د. أحمد عكاشه مع مقدمه) :

ليوناردو دامنشى

ابليخىص د. عبيد المنعم الحمى : الحرب

والحضارة والحب والموت .

Allenberger	The Discovery of the Unconscious
Jones	Life of Freud
Klein	The Psychoanalysis of Children
Klein & Riviere	Love, Hate and Reparation
Ludwig	Doctor Freud
Mannoni	Freud
Rycroft	Psychoanalysis Observed
	A Criticel Dictionary of Psychoanalysis
Richs	Freud, Master and Friend
	The Life of Freud
	Freud

الفهرست

٥	نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره
١١	هاو للفلسفة ودارس للطب
١٧	حالة المريضة « أنا أوه Anna O »
٢٥	من التنويم الى التحليل
٣١	دور الجنس في الاحلام
٥٥	الكشف عن مركب أوديب
٦٣	القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)
٦٩	فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية
٧٥	تواريخ في حياة فرويد
٧٩	بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية
٨٥	كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى
٩٣	المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد
	أهم مؤلفات فرويد
	أهم المراجع

نعتذر لاختلاط موضعى الصورتين بصفتى ١٣ و ١٩

www.alkottob.com



الاستقبال بالقبائل والإكابر
ومؤسس المعارف ببغداد

0.195

2

91u



To: www.al-mostafa.com

www.alkottob.com